غير مرخصة للطباعة

المحور الثالث

الفقه وأصوله
(فقه السياسة الشرعية)

٦٠

القدس
قضية كل مسلم

الإمام يوسف القرضاوي

نسخة تجريبية

من الدستور الإلهي للبشرية

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣].

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ﴾ [الإسراء: ١].

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۞ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَـٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۞ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَـٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَـٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۞ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ۞ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: ٤ ـ ٨].

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أبي ذرٍّ قال: قلت يا رسول الله: أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: «**المسجد الحرام**» قلت: ثم أي؟ قال: «**المسجد الأقصى**» قلتُ: كم بينَهما؟ قال: «**أربعون سنة، وأينما أدركتْكَ الصلاةُ فصل فهو مسجد**» متفق عليه.

عن أبي أُمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم، إلا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك**». قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: «**ببيتِ المقدس وأكنافِ بيت المقدس**» رواه أحمد.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لا تُشَدُّ الرحالُ إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد الأقصى**» متفق عليه.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «**تُقاتلون اليهود، حتى يختبئَ أحدُهم وراء الحجر، فيقول: يا عبد الله، هذا يهودي ورائي، فاقتله**» متفق عليه.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وكفى، وسلام على رسله الذين اصطفى، وعلى خاتمهم المجتبى، محمد وآله وصحبه أئمة الهدى، ومصابيح الدجى، ومن بهم اقتدى فاهتدى.

(أما بعد)

فهذه هي الرسالة العاشرة من «رسائل ترشيد الصحوة» وهي تتحدث عن قضية في غاية الأهمية والخطورة علينا نحن العرب والمسلمين، حيثما كنا في أرض الله، هي قضية القدس الشريف. فالقدس في مهبِّ الرِّيح، في مواجهة الخطر الداهم، الخطر الصهيوني الذي بيَّت أمره، وحدّد هدفه، وأحكم خطته، لابتلاع القدس، وتهويدها، وسلخها من جلدها العربي والإسلامي، وقد أعلن قراره ولم يُخفه، وتحدّى وتصدّى وتعدّى، ولم يجد من أمة الإسلام ـ على امتدادها واتساعها ـ من يصده ويرده، وقديمًا قالوا في الأمثال: قيل لفرعون: ما فرعنك؟ قال: لم أجد من يردُّني!

إننا في هذه الصّحائف نريد أن ننبِّه الغافلين، أن نوقظ النائمين، أن نذكر الناسين، أن نشجّع الخائفين، أن نثبِّت المتردّدين، أن نكشف

QaradawiBooks.com

الخائنين، أن نشـــدّ على أيدي المجاهدين، الذين رفضوا الاستســـلام، وتحرّروا من الوهن، وصمّموا على أن يعيشوا أعزّاء، أو يموتوا شهداء.

إن القدس ليست للفلسطينيين وحدهم، وإن كانوا أولى الناس بها، وليســـت للعرب وحدهم، وإن كانوا أحق الأمة بالدفاع عنها، وإنَّما هي لكل مسلم أيًّا كان موقعه في مشـــرق الأرض أو مغربها، في شمالها أو جنوبها، حاكمًا كان أو محكومًا، متعلّمًا أو أميًّا، غنيًّا، أو فقيرًا، رجلًا أو امرأة، كل على قدر مكنته واستطاعته.

فيا أمة الإسلام، هبُّوا، فقد جدّ الجدّ، ودقت ساعة الخطر، القدس، القدس، الأقصى، الأقصى.

﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

الدوحة في ذي الحجة ١٤١٨هـ ـ الموافق إبريل ١٩٩٨م

يوسف القرضاوي

نسخة مجانية
غير مرخصة للبيع

غير مرخصة للطباعة

القدس في اعتقاد المسلمين

القدس في الاعتقاد الإسلامي، لها مكانة دينية مرموقة، اتّفق على ذلك المسلمون بجميع طوائفهم ومذاهبهم وتوجّهاتهم، فهو إجماع الأمّة كلّها من أقصاها إلى أقصاها. ولا غرو أن يلتزم جميع المسلمين بوجوب الدفاع عن القدس، والغيرة عليها، والذود عن حماها، وحرماتها ومقدساتها، وبذل النفس والنفيس في سبيل حمايتها، وردّ المعتدين عليها. وقد اختلف المسلمون، والعرب، والفلسطينيون في الموقف من قضية السلام مع إسرائيل: هل يجوز أو لا يجوز؟ وإن جاز: هل ينجح أو لا ينجح؟ ولكنهم جميعًا ـ مسلمين وعربًا وفلسطينيين ـ لم يختلفوا حول عروبة القدس، وإسلاميتها، وضرورة بقائها عربية إسلامية، وفرضيّة مقاومة المحاولات الإسرائيلية المستميتة لتهويدها، وتغيير معالمها، ومسخ شخصيتها التاريخية، ومحو مظاهر العروبة والإسلام والمسيحية منها. فللقدس قدسيّة إسلامية مقدورة، وهي تمثل في حسّ المسلمين ووعيهم الإسلامي: القبلة الأولى، وأرض الإسراء والمعراج، وثالث المدن المعظمة، وأرض النبوات والبركات، وأرض الرباط والجهاد كما سنبين ذلك فيما يلي.

القدس: القبلة الأولى:

أول ما تمثله القدس في حسّ المسلمين وفي وعيهم وفكرهم الديني: أنَّها «القبلة الأولى» التي ظلّ رسول الله ﷺ وأصحابه يتوجهون إليها في صلاتهم منذ فرضت الصلاة ليلة الإسراء والمعراج في السنة العاشرة للبعثة المحمدية، أي قبل الهجرة بثلاث سنوات، وظلّوا يُصلُّون إليها في مكة، وبعد هجرتهم إلى المدينة، ستة عشر شهرًا، حتى نزل القرآن يأمرهم بالتوجّه إلى الكعبة، أو المسجد الحرام، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٥٠]. وفي المدينة المنورة مَعْلَم أثريٌّ بارزٌ يؤكد هذه القضية، وهو مسجد القبلتين، الذي صلّى فيه المسلمون صلاة واحدة بعضها إلى القدس، وبعضها إلى مكة، وهو لا يزال قائمًا، وقد جُدِّد وتُعُهِّد، وهو يزار إلى اليوم ويُصلى فيه.

وقد أثار اليهود في المدينة ضجَّةً كبرى حول هذا التحوّل، وردَّ عليهم القرآن بأن الجهات كلها لله، وهو الذي يحدد أيها يكون القبلة لمن يصلي له: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، إلى أن يقول: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٢، ١٤٣]. فقد قالوا: إن صلاة المسلمين تلك السنوات قد ضاعت وأهدرت، لأنَّها لم تكن إلى قبلة صحيحة، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾، أي صلاتكم، لأنَّها كانت صلاة إلى قبلة صحيحة مرضية عنده ﷻ.

QaradawiBooks.com

القدس أرض الإسراء والمعراج:

وثاني ما تمثّله القدس في الوعي الإسلامي: أن الله تعالى جعلها منتهى رحلة الإسراء الأرضية، ومبتدأ رحلة المعراج السماوية، فقد شاءت إرادة الله أن تبدأ هذه الرحلة الأرضية المحمدية الليلية المباركة من مكة، ومن المسجد الحرام، حيث يقيم الرسول ﷺ، وأن تنتهي عند المسجد الأقصى، ولم يكن هذا اعتباطًا ولا جزافًا، بل كان ذلك بتدبير إلهي ولحكمة ربانية، وهي أن يلتقي خاتم الرسل والنبيين هناك بالرسل الكرام، ويصلّي بهم إمامًا، وفي هذا إعلان عن انتقال القيادة الدينية للعالم من بني إسرائيل إلى أمّة جديدة، ورسول جديد، وكتاب جديد: أمّة عالميّة، ورسول عالميّ، وكتاب عالميّ، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

لقد نصّ القرآن على مبتدأ هذه الرحلة ومنتهاها بجلاءٍ في أوّل آية في السّورة التي حملت اسم هذه الرحلة «سورة الإسراء» فقال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء: ١]. والآية لم تصف المسجد الحرام بأيّ صفة مع ماله من بركات وأمجاد، ولكنها وصفت المسجد الأقصى بهذا الوصف ﴿ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾، وإذا كان ما حوله مباركًا، فمن باب أولى أن يكون هو مباركًا.

وقصة الإسراء والمعراج حافلة بالرموز والدلالات التي توحي بأهمية هذا المكان المبارك، الذي ربط فيه جبريل البراق، الدابة العجيبة التي كانت وسيلة الانتقال من مكّة إلى القدس، وقد ربطها بالصّخرة حتى يعود من الرّحلة الأخرى، التي بدأت من القدس أو المسجد الأقصى إلى

QaradawiBooks.com

السّماوات العلا، إلى «سـدرة المنتهى»، وقد أورث ذلك المسلمين من ذكريات الرحلة: الصخرة، وحائط البراق.

لو لم تكن القدس مقصودة في هذه الرحلة، لأمكن العروج من مكة إلى السّماء مباشرة، ولكن المرور بهذه المحطة القدسية أمر مقصود، كما دلّ على ذلك القرآن الكريم والأحاديث الشريفة.

ومن ثمرات رحلة الإسراء: الربط بين مبتدأ الإسراء ومنتهاه، وبعبارة أخرى بين المسـجد الحرام والمسـجد الأقصى، وهذا الربط له إيحاؤه وتأثيره في وعي الإنسان المسـلم وضميره ووجدانه، بحيث لا تنفصل قدسيّة أحد المسجدَيْن عن قدسيّة الآخر، ومن فرَّط في أحدهما أوشك أن يفرِّط في الآخر.

القدس ثالث المدن المعظّمة:

والقدس ثالث المـدن المعظّمة في الإسـلام؛ فالمدينة الأولى في الإسلام هي مكة المكرمة، التي شـرّفها الله بالمسجد الحرام. والمدينة الثانية في الإسلام هي طيبة، أو المدينة المنورة، التي شرّفها الله بالمسجد النبويّ، والتي ضمّت قبر الرسـول ﷺ. والمدينة الثالثة في الإسلام هي القدس أو بيت المقدس، والتي شرّفها الله بالمسجد الأقصى، الذي بارك الله حوله، وفي هـذا صح الحديث المتفق عليه عـن أبي هريرة[١] وأبي سعيد الخدري[٢]، عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**لا تُشَـدُّ الرّحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا**».

(١) متفق عليه: رواه البخاري في فضل الصلاة في مسـجد مكة والمدينة (١١٨٩)، ومسـلم في الحج (١٣٩٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الصيام (١٩٩٥)، ومسلم في الحج (٨٢٧) (٤١٥).

QaradawiBooks.com

فالمساجد كلّها متساوية في مثوبة مَنْ صلَّى فيها، ولا يجوز للمسلم أن يشدّ رحاله، بمعنى أن يعزم على السفر، والارتحال للصلاة في أيّ مسجد كان، إلا للصلاة في هذه الثلاثة المتميزّة. وقد جاء الحديث بصيغة الحصر، فلا يقاس عليها غيرها.

وقد أعلن القرآن عن أهميّة المسجد الأقصى وبركته، قبل بناء المسجد النبوي، وقبل الهجرة بسنوات، وقد جاءت الأحاديث النبوية تؤكّد ما قرّره القرآن الكريم، منها الحديث المذكور، والحديث الآخر: «**صلاةٌ في المسجد الحرام أفضلُ مما سواه من المساجد بمائة ألف صلاة، وصلاة في مسجد المدينة أفضل من ألف صلاة فيما سواه، وصلاة في مسجد بيت المقدس أفضل مما سواه من المساجد بخمسمائة صلاة**»[(١)]. ومنها ما رواه أبو ذر، أن النبي ﷺ سئل: أي مسجد وُضِعَ في الأرض أوّلَ؟ قال: «**المسجد الحرام**»، قيل ثم أي؟ قال: «**المسجد الأقصى**»[(٢)].

والإسلام حين جعل المسجد الأقصى ثالث المسجدين العظيمين في الإسلام، وبالتالي أضاف القدس إلى المدينتين الإسلاميتين المعظمتين: مكة والمدينة، إنَّما أراد بذلك أن يقرر مبدأً هامًّا من مبادئه، وهو أنَّه جاء ليبني لا ليهدم، وليُتمِّم لا ليحطّم، فالقدس كانت أرض النبوات، والمسلمون أولى الناس بأنبياء الله ورسله، كما قال الرسول ﷺ ليهود المدينة: «**نحن أولى بموسى منكم**»[(٣)].

---

(١) عزاه المنذري في الترغيب والترهيب (١٨٣٦) للطبراني في الكبير، وابن خزيمة في صحيحه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٨٧٣): رواه الطبراني في الكبير، ورجاله ثقات، وفي بعضهم كلام، وهو حديث حسن. عن أبي الدرداء.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٦٦)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٢٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٩٤٣)، ومسلم في الصيام (١١٣٠)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

القدس أرض النبوات والبركات:

والقدس جزء من أرض فلسطين، بل هي غُزَّة جَبِينها، وواسطة عِقْدها، ولقد وصف الله هذه الأرض بالبركة في خمسة مواضع في كتابه:

أوّلها: في آية الإسراء حين وصف المسجد الأقصى بأنّه: ﴿ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١].

وثانيها: حين تحدَّث في قصة خليله إبراهيم، فقال: ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١].

وثالثها: في قصّة موسى، حيث قال عن بني إسرائيل بعد إغراق فرعون وجنوده: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [الأعراف: ١٣٧].

ورابعها: في قصّة سليمان، وما سخّر الله له من ملك لا ينبغي لأحد من بعده، ومنه تسخير الرّيح، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء: ٨١].

وخامسها: في قصّة سبأ، وكيف من الله عليهم بالأمن والرغد، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ [سبأ: ١٨]. فهذه القرى التي بارك الله فيها هي قرى الشّام وفلسطين.

قال المفسّر الآلوسي: المراد بالقرى التي بورك فيها: قرى الشّام، لكثرة أشجارها وثمارها، والتّوسعة على أهلها. وعن ابن عباس: هي قرى بيت المقدس[(١)]، وقال ابن عطية: إن إجماع المفسرين عليه[(٢)].

---

(١) روح المعاني للآلوسي (٣٠٣/١١)، تحقيق علي عبد الباري عطية، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

(٢) تفسير ابن عطية (٤١٥/٤)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

QaradawiBooks.com

وقد ذهب عدد من مفسّـــري القرآن من علماء السلف، والخلف في قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۞ وَطُورِ سِينِينَ ۞ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: ١ ـ ٣]، إلى أنّ التين والزيتون يقصـــد بهما الأرض أو البلدة التـــي تنبت التّين والزّيتون، وهي بيت المقدس.

قال ابن كثير: قال بعـــض الأئمّة: هذه محالٌّ ثلاثـــة بعث الله في كلّ واحد منها نبيًّا مرســـلًا من أولي العزم، أصحاب الشّرائع الكبار. فالأوّل: محلّ التّين والزّيتون، وهو بيت المقدس، الذي بعث الله فيه عيســـى ابن مريم عليه السلام، والثاني: طور ســـيناء، الذي كلَّم اللهُ عليه موسى بن عمران، والثالث: مكة، وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمنًا[1]. وبهذا التفسير أو التّأويل، تتناغم وتنسجم هذه الأقسام، فإذا كان البلد الأمين يشير إلى منبت الإسلام رسالة محمد، وطور سينين يشير إلى منبت اليهوديّة رسالة موسى، فإن التّين والزّيتون يشيران إلى رسالة عيسى، الذي نشأ في جوار بيت المقدس، وقدّم موعظته الشهيرة في جبل الزيتون[2].

أرض الرباط والجهاد:

والقدس عند المســـلمين هي أرض الربّاط والجّهـــاد. فقد كان حديث القرآن عن المسجد الأقصى، وحديث الرســـول عن فضل الصلاة فيه، من المبشّرات بأنّ القدس سيفتحها الإسلام، وستكون للمسلمين، وسيشدون الرّحال إلى مسجدها، مصلّين لله متعبّدين، وقد فتحت القدس ـ التي كانت تســـمّى إيلياء ـ في عهد الخليفة الثاني في الإســـلام عمر بـــن الخطاب، واشترط بطريركها الأكبر صفرونيوس ألا يسلّم مفاتيح المدينة إلا للخليفة

(١) تفسير ابن كثير (٤٣٤/٨)، تحقيق سامي سلامة، نشر دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

(٢) تفسير القاسمي (٤٩٩/٩)، تحقيق محمد باسل عيون السود، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، وقد ذكر أن الكلام الذي نقله ابن كثير هو من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

QaradawiBooks.com

نفســه، لا لأحد من قوّاده، وقد جاء عمر من المدينة إلى القدس في رحلة تاريخية مثيرة، وتسلّم مفاتيح المدينة، وعقد مع أهلها من النّصارى معاهدة أو اتفاقيّة معروفة في التاريخ باســم «العهد العمري» أو «العهدة العمريّة» أمَّنهم فيها على معابدهم وعقائدهم وشعائرهم وأنفسهم وأموالهم، وشهد على هــذه الوثيقة عــدد من قادة المســلمين، أمثــال: خالد بــن الوليد، وعبد الرحمٰن بن عوف، وعمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان[١].

وقد أعلــم الله نبيّه محمدًا ﷺ بأن هذه الأرض المقدّســة ســيحتلّها الأعداء، أو يهدّدونها بالغزو والاحتلال، ولهــذا حرَّض أمته على الرباط فيها، والجّهاد للدفاع عنها حتى لا تسقط في أيدي الأعداء، ولتحريرها إذا قدّر لها أن تســقط في أيديهــم. كما أخبــر عليه الصلاة والسلام بالمعركــة المرتقبة بين المسلمين واليهود، وأنّ النّصر في النهاية سيكون للمسلمين عليهم، وأنّ كلّ شيء سيكون في صف المسلمين حتى الحجر والشّجر، وأنّ كلّا منهما سينطق دالًّا على أعدائهم، سواء كان نطقًا بلسان الحال أم بلسان المقال[٢]. وقد روى أبو أمامة الباهلي عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**لا تزال طائفةٌ من أُمَّتي على الحــق ظاهرين، لعدوِّهــم قاهريــن، لا يضرُّهم مــن جابههم، إلا ما أصابهم من لأواء** (أي أذى) **حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**»، قالوا: وأين هم يا رسول الله؟ قال: «**ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس**»[٣].

---

(١) تاريخ الطبري (٦٠٩/٣)، نشر دار التراث، بيروت، ط ٢، ١٣٨٧هـ.

(٢) إشارة إلى الحديث المتفق عليه: «لا تقوم السّــاعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله». رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٢٦)، ومسلم في الفتن (٢٩٢٢)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه عبد الله في المســند وجادة عن خط أبيه (٢٢٣٢٠)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره دون قوله: قالوا: يا رســول الله، وأين هم... إلخ. والطبراني (١٤٥/٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٢٤٨): رجاله ثقات. عن أبي أمامة الباهلي.

QaradawiBooks.com

القدس تُهَوَّد جهارًا

في الثاني من سبتمبر ١٩٩٧ دُعيت من قِبل «مجمع البحوث الإسلامية بلندن» للمشـــاركة في مؤتمره العلمي الأول عن «القدس»، وإلقاء كلمة فيه بهذه المناسبة. فحضرت، وقلت في بداية كلمتي:

في هذه الســـنة (١٩٩٧م) تتزاحم ذكريات مهمة وبارزة تخصّ قضيّتنا الأولى: قضية القدس وفلسطين.

في هذه الســـنة تمرّ ذكرى مرور قرن (١٠٠ ســـنة) على عقد المؤتمر الصهيوني الأول في «بازل» بسويســـرا برئاســـة «هرتـــزل» عام ١٨٩٧م، وظهور المؤسسة الصهيونية العالمية.

كما تمرّ ذكـــرى (٨٠) ثمانين عامًا على مرور وعد بلفور المشـــؤوم بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين (نوفمبر ١٩١٧م).

وكذلك ذكرى نصف قرن على قرار تقســـيم فلسطين (١٩٤٧م) الذي كان تمهيدًا لقيام إسرائيل (١٩٤٨م).

وأيضًا ذكرى مرور ثلاثين سنة على احتلال القدس، والضفة الغربية، وغزة ســـنة (١٩٦٧م) بعد حرب الأيام الســـتة المعروفة فـــي ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧م.

وأخيرًا: ذكرى مرور عشرين عامًا على زيارة الرئيس السادات إلى إسرائيل (١٩٧٧م)، التي مثّلت بداية الخلل في وحدة الموقف العربي تجاه إسرائيل.

QaradawiBooks.com

ونحن الآن نجني ثمار هــذه الأحداث المريرة، وأشــدّ هذه الثمار مرارة: محاولة إسرائيل «تهويد القدس» العربية الإسلامية، وفق تخطيط معلوم، ونهج مرسوم، وعلى مرأى ومسمع من أكثر من مائتين وخمسين مليونًا من العرب، ووراءهم أكثر من مليار من المســلمين. وعلى الرغم من قرارات الأمم المتحدة، ومجلس الأمن الدولي، وبمساعدة وتأييد من أمريكا القوة الأولى والوحيدة، والمتألّهة في العالم اليوم.

ولا تزال إسرائيل تتابع «حفريّاتها» تحت المسجد الأقصى، وتنشئ مدينة سياحيّة تحته، فيما زعموا، وقد سمعت في مؤتمر القدس المذكور من الأخ الشيخ رائد صلاح، رئيس بلديّة أم الفحم في فلسطين المحتلة، ورئيس الحركة الإسلاميّة هناك، أنَّه أتيح له الاطلاع على هذه الحفريات، ورأى المسجد الأقصى مهددًا بالانهيار في وقت غير بعيد.

وهذا يؤكّد ما قلته، وأعلنتــه مرارًا من أن إســرائيل تعرف متى ينهار المسجد، وهي محدّدة له وقتًا معينًا، تُوقِّع فيه ذلك وتعلنه، وهي ستختار الوقت المناسب لهذا الفعل، بحيث يكون العرب والمسلمون مشغولين في هموم أخرى تلهيهم عن هذا الخطب الجســيم، أو تجعل احتجاجهم عليه مجرد صراخ لا يرد حقًّــا، ولا يقاوم باطلًا! ويكون العالم أيضًا مشــغولًا بِخَطْب آخر، قد تكون إسرائيل أو الصهيونية العالمية هي صانعته ومدبرته.

وهكذا تتعرّض القدس العربيّة الإسلاميّة: مدينة المقدسات، وأرض النبوّات، وبلد الإسراء والمعراج، ودار المسجد الأقصى، الذي بارك الله حوله، والذي هو عند كل مســلم بمنزلة ســواد العين، وسويداء القلب. تتعرض هذه المدينــة للتهويد المبيَّت، والانتهــاب المخطط، والالتهام المدبر، ويتعرّض المسجد الإســلامي المعظم للخطر المؤكد، بما يقع

QaradawiBooks.com

تحته وحوله من حفريّات مستمرّة، تهدف في النهاية إلى إزالته، وإقامة هيكل اليهود المزعوم على أنقاضه.

الهدف واضح وصريح، والخطة معلومة، والعمل معلن، اتفق عليه اليهود جميعًا، أيًّا كان انتماؤهم واتجاههم: دينيين كانوا أم علمانيين، من حزب «الليكود» الصريح المتعجرف، أم من حزب «العمل» المناور المراوغ.

ومع هذا لازلنا نركض ونسابق الريح، سعيًا إلى سلام بائس، لا يقيم لفلسطين دولة، ولا يعيد إليها مشرّدًا، ولا يردّ إليها قدسها وعاصمتها، ومع هذا الغبن الفاحش، والظلم المبين، تركل إسرائيل، ويركل بنيامين نتنياهو السّلامَ المزعوم بقدميه، رضي القتيل ولم يرض القاتل!

وهكذا كلّما تنازلنا عن حق مؤكد لنا، أصرّت إسرائيل على باطل مدّعى لها، وهي في كل يوم تأخذ منا ما تريد، ونحن لا نأخذ نقيرًا ولا قطميرًا، إلا وعودًا مزعومة، أشبه بما قال الشاعر:

كانت مواعيدُ عُرْقُوبٍ لها مثلًا وما مواعيدُها إلا الأباطيلُ
فلا يَغُرَّنْكَ ما منَّتْ وما وعدتْ إن الأمانيَّ والأحلام تَضْلِيلُ[1]

بل الواقع أنّ إسرائيل في عهد الليكود أمست تضنّ علينا حتى بالوعود، وإن كانت سرابًا. فهي تتبجّح بالرفض المطلق، ولا تخاف ولا تستحي. وقد قال رسول الإسلام ﷺ: «**إن ممَّا أدركَ الناسُ من كلام النبوَّة الأولى: إذا لم تستحِ، فاصنعْ ما شئتَ!**»[2].

---

(١) البيتان لكعب بن زهير، من قصيدته: بانت سعاد، التي اعتذر فيها للنبي ﷺ، انظر: ديوان كعب بن زهير صـ ٦٢، تحقيق: علي فاعور، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ.
وعرقوب: رجل يضرب به المثل في إخلاف الوعد.

(٢) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٨٣)، عن أبي مسعود الأنصاري.

QaradawiBooks.com

إنّ إسرائيل تستكبر وتبغي في الأرض بغير الحق، لأنَّها لم تجد من يردها ويُوْقِفُها عند حدها.

فهي تريد سلامًا من منظورها هي، ووفق مصلحتها، وتبعًا لإستراتيجيّتها التوسعيّة، وأطماعها الإقليميّة، المتمثلّة في إسرائيل الكبرى: من الفرات إلى النيل، ومن الأرز إلى النخيل! ولكنّها قد تخفي ذلك، أو تسكت عنه في وقت ما، تبعًا لسياسة «المراحل» التي تجيدها إسرائيل من قديم.

ولقد ساعدت الظروف العالميّة والإقليميّة والمحليّة القائمة اليوم، إسرائيلَ على هذا التجبّر والطغيان الذي نشهده، وتتمثّل تلك الظروف في الاستسلام الفلسطيني، والعجز العربي، والوهن الإسلامي، والغياب العالمي، والتفرّد الأمريكي، والتحيّز الأمريكي أيضًا.

ولكن هل تضمن إسرائيل أن تبقى هذه الظروف المساعدة لها باقية إلى الأبد؟ وهل أخذت صكًّا على القدر الأعلى أن تبقى الرياح في الاتجاه الذي تهوى؟

نحن بقراءة سنن الله في الكون، وقراءة التاريخ من قبل، واستقراء الواقع في عالمنا: نؤمن بأنّ الدنيا تتطوّر، وأنّ العالم من حولنا يتغيّر، بل يتغيّر بسرعة غير محسوبة ولا متوقّعة، كما رأينا في انهيار الاتحاد السوفيتي، وفي ظهور الاتحاد الأوروبي، وفي ظهور قوى اقتصادية جديدة في العالم. وهو ما عبّر عنه الناس عندنا من قديم فقالوا: دوام الحال من المحال. وما عبر عنه القرآن في صورة سنة كونية عامة، فقال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. قال ذلك في أعقاب غزوة أحد التي انكسر فيها المسلمون في عصر النبوة، وقدّموا فيها سبعين من أغلى شهدائهم، بعد انتصار مبين قبلها في غزوة بدر، التي سمّى القرآن يومها: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١].

QaradawiBooks.com

الاستسلام الفلسطيني:

إنّ الاستسلام الفلسطيني الذي دفع إليه تسرّب الوهن إلى بعض الأنفس، واليأس إلى بعض القلوب والشّعور بالمرارة من تخاذل الكثيرين من العرب، وارتماء بعضهم في أحضان الأمريكان، وسقوط السوفييت، والإحساس بالرعب من الوحش الأمريكي، وتحيّزه الدائم لربيبته إسرائيل، واستطالة طريق الجهاد، وكثرة تكاليفه، وضحاياه، كل أولئك سارع بدفع عدد من القادة الفلسطينيين إلى قبول «السلام الأعرج» الذي عرضته إسرائيل، تحت عنوان: «الأرض مقابل السلام». يعنون أن تتخلّى إسرائيل عن الأرض الفلسطينية والسورية واللبنانية التي احتلّتها عام (١٩٦٧م) في مقابل سلامها، بحيث لا يناوشها أحد ولا ينازعها. باختصار: هذا القول يعني: أرض العرب في مقابل سلام إسرائيل.

أي يَردُّون إلينا أرضنا المحتلّة لينعموا بالسلام، معنى هذا: أنّ الأرض التي أخذوها بقوّة السلاح وبالدم والعنف أمست ملكًا لهم، وأمسى لهم الحق عليها، وهم يتنازلون عنها ليفوزوا بالسلام!

وقَبِل العرب المفاوضات على هذا الأساس الأعوج، وأعطوا إسرائيل السلام، ولكنّها لم تعطهم شيئًا، باعت لهم «الترام»! كما تحكي الحكايات عن القاهري الماكر والصعيدي الساذج.

ما معنى سلام يترك المشاكل الكبرى الأساسية كلها معلقة:

مشكلة القدس.

مشكلة الاستيطان.

مشكلة اللاجئين.

مشكلة الحدود.

QaradawiBooks.com

هذه المشـــكلات الخطيرة معلّقة مؤجّلة، لا تبحـــث إلا في نهاية المفاوضات، ولم يســـأل أحد: وإذا لم نتّفق عليها فـــي النهاية، فماذا يكون الموقف؟

والحقيقة أنّ هذه المشـــاكل كانت معلَّقـــة ومؤجَّلة عند العرب، ولم تكن مؤجّلة ولا معلّقة عند إسرائيل، فقد أعلن إسحاق رابين عشيّة توقيع الاتفاق في «أوســـلو» قائلًا ومصرحًـــا: جئتكم من أورشـــليم «القدس» العاصمة التاريخية والأبدّية والموحَّدة لشعب إسرائيل!

وكذلك لم يؤجّل موضوع الاســـتيطان، بل ظل مستمرًّا في أكثر من مكان في فلســـطين، إلى أن فجرته المحاولة الصريحة الجريئة بإنشـــاء مســـتوطنة «هارحوما» في جبل أبو غنيم، وكذلك في رأس العامود في القدس الشرقية، ولا يزال الاســـتيطان يتوسَّع وينمو، في حين لا يسمح للفلسطينيين أهل البلد وأصحاب الدار، بأيِّ نمو أو توسع.

وكم رأينا بأعيننا البيوت تهدّم على مرأى ومســـمع؛ لأن إسرائيل لم تسمح بها، ولن تسمح يومًا.

إن الفلســـطينيين اليوم أدركوا أن إســـرائيل تخدعهم وتلعب بهم، وأن انسحابها الجزئي المحدود جدًّا لم يكن إلا خدعة كبيرة، وأنَّها تستطيع أن تعود إلى احتلال المواقع التي أخلتها في ســـاعات قلائل، وأنّ زمام الأمور كلّها بيديها، وأن لا حول لهم ولا طول، وأن الســـلطة التي منحتها إسرائيل لهم سلطة وهمية، هدف إســـرائيل منها: أن تضرب الفلســـطينيين بعضهم ببعض، وأن تســـلط بعضهم على بعض، وأن يكون بأســـهم بينهم شديدًا، لتقف هي متفرّجة على صراع الأخ مع أخيه، وأن بندقية الفلسطيني لم تعد موجهة إلى صدر غاصب أرضهم بل إلى فلسطيني مثله. وهذا مراد إسرائيل.

QaradawiBooks.com

ولما لم يتحقّق لإسرائيل كل ما تريد، طلبت بصراحة من السلطة: تدمير حماس، وتحطيم كل قوّة لها، وإعانة إسرائيل عليها. وهذا شرط أساسي وضروري اليوم للعودة للجلوس على مائدة السلام المزعوم.

إنّ إسرائيل ماضية في خطتها وإصرارها على تهويد القدس، وهي خطة ليست بنت اليوم ولا وليدة الأمس. وقد حدّدت هدفها، ورسمت سياستها، ومارست تنفيذها، بمحاصرتها بالمستوطنات، والعمل الدائب على تفريغها من أهلها العرب مسلمين ومسيحيين ووضع العوائق والعقبات في سبيل نموّهم وامتدادهم عمرانيًّا وبشريًّا، والوقائع كلها شاهدة قاطعة، والعرب لا يملكون إلا الشجب والاحتجاج والاستنكار، وهذه كلّها لا تجدي فتيلًا، ولا تحيي قتيلًا، ولا تشفي عليلًا. لقد احتج العرب على مستوطنة أبو غنيم، واحتجوا على احتلال بيت رأس العامود، ولكن احتجاجاتهم ذهبت أدراج الرياح.

لم يبق من شيء تخافه إسرائيل إلا الشباب الذين حملوا رؤوسهم على أكفهم، بائعين أرواحهم لله، لا يبالون أوقعوا على الموت أم وقع الموت عليهم، من الذين أقلقوا إسرائيل بعملياتهم الاستشهادية، وقذفوا الرعب في قلوب أبنائها، وأطاروا النوم من أجفانهم، ولا يفلّ الحديد إلا الحديد.

لهذا قامت إسرائيل ـ على أعلى مستوى فيها ـ بالانتقام من هؤلاء الأبطال، فقتلت الدكتور الشقاقي، والمهندس يحيى عياش، وشرعت أخيرًا في قتل خالد مشعل، بسلاح كيماوي متطور، وفي بلد معاهد لهم، هو الأردن، ليعلم الجميع أن هؤلاء قوم لا عهد له ولا ذمة، كما قال تعالى في أسلافهم: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٥٦].

QaradawiBooks.com

وهم من قديم يقتلون كل من يقف في طريقهم أو ينتقدهم، أو يكشف أحابيلهم، من مدنيين وسياسيين ومفكّرين، فقد قتلوا اللورد موين، وقتلوا الكونت برنادوت، وقتلوا المفكّر الإسلامي الدكتور إسماعيل الفاروقي وزوجته أشنع قتلة، هذا ما تقوله الوقائع، ولا يزالون يهدّدون ويتوعّدون كل من يقول كلمة لا تعجبهم، حتى الرسائل الأكاديمية أو البحوث العلمية، التي تتحدث عن مذابح النازيّة معهم، وتحاول أن تبين حجمها الحقيقي، لا يسمح لها أن تبرز وترى النور، حتى إن كاتبيها يتعرضون للمساءلة والمحاكمة، بله والمضايقة والإيذاء والتهديد، وآخرهم المفكر الفرنسي المعروف روجيه جارودي.

إن الذين ظلوا يحملون روح الشعب الفلسطيني المجاهد، وعناد مقاومته، واستعداده للتضحية، إنَّما هم تلك الفئة المؤمنة التي وهبت حياتها، وكل ما تملك من نفس ونفيس، لتحرير الأرض المقدسة ومسجدها الأقصى. إنَّما هم أبناء حركة المقاومة الإسلامية «حماس» وإخوانهم وأعوانهم في «الجهاد» المقدس، ومن يشدّ أزرهم من أبناء الشعب. إنهم الذين باعوا أرواحهم لله ليشتروا الجنة، ولقد ابتلوا وأوذوا وسجنوا وعذّبوا في سبيل الله، فصبروا وصابروا ورابطوا، ﴿فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦، ١٤٧].

وظنّي أنّ الاستسلام الذي جُرَّ إليه الفلسطينيون لن يستمر، فقد طفح الكيل، وبلغ السَّيْلُ الزُّبَى، وأوشك الصبر أن ينفد، وحينئذ لا يكون أمام هؤلاء إلا عودة الانتفاضة الشاملة أشدّ وأقوى مما كانت، ويفرض الواقع

QaradawiBooks.com

الجديد نفسه، وتنضم السلطة إلى الشعب، ويقف الجميع في وجه العدو صفًّا واحدًا كالبنيان المرصوص. وصدق الشاعر:

إذا لم يكــنْ إلا الأَسِــنَّةُ مَرْكَبٌ فَمَا حِيلَةُ الْمُضْطَرِ إلا رُكُوبُها![1]

العجز العربي:

أما العجز العربي الذي نراه ونلمسه، فليس هو بالقدر الذي لا مهرب منه. إنَّما هو أمر طارئ لا بد أن يزول.

وأظهر أسباب هذا العجز هو التفرّق، الذي أصاب دول العرب، منذ شــرخ «كامب ديفيد»، واتفاقيته التي أخرجت الشقيقة الكبرى مصر من المعركة المصيرية للأمة، وقد استُغلّ في ذلك: تخلِّي العرب عن مصر، وعدم وقوفهم معها، ومعاونتهم لها، وقد خاضت أَرْبَعَ حروب من أجل فلسطين كلفتها الكثير من المال والرجال.

وزاد هذا التفرّق بعد «حرب الخليج» الثانية، التي مزّقت العرب شرّ ممزّق، وخســروا فيها تضامنهم ووحدة مواقفهم، كما خسروا أموالهم، حتى استدانت البلاد الغنيّة، بل خسر كثير منهم حرية إرادتهم واستقلال قرارهم، إلى حد احتلال أراضيهم. كان هــذا كلّه بضربة واحدة ـ ضربة معلم كما يقال ـ وكان الرابــح الواحد في ذلك هو إســرائيل، وأمريكا وحلفاؤها، الذين تخلصوا من أســلحتهم القديمة فــي أرضنا، وجرّبوا أسلحتهم الجديدة في شعوبنا، وهدموا ديارنا بفلوسنا، وبطلبنا، وخربوا بيوتنا بأيدينا، ليعودوا فيشيدوها من جديد بأموالنا أيضًا.

(١) من شــعر كميت بن يزيد، كما فــي جمهرة أشــعار العرب صـ ٧٩٠، تحقيــق علي محمد البجادي، نشر دار نهضة مصر، القاهرة.

QaradawiBooks.com

وقد انقسم العالم العربي في هذه القضية انقسامًا لم يحدث مثله في قضية أخرى، لما فيها من تداخل وتعقيد، فإنّ الذي يرفض التدخل الأجنبي كأنما يؤيد الاحتلال العراقي للكويت، والذي يقبل التدخل العسكري الأمريكي والغربي لتحرير الكويت كأنما يؤيد تدمير العراق، ويساند الاحتلال الأجنبي للمنطقة!

وضاع الرأي الوسط الذي ينكر الاحتلال، ويطالب بالجلاء، كما ينكر التدخل الأجنبي المكثف المسيطر، سواء بسواء. وهو ما نادت به مجموعات من أهل العلم والفكر من المصريين نشروا بيانهم على صفحات الأهرام وغيره «ضمن المقال الأسبوعي للكاتب الكبير الأستاذ فهمي هويدي».

المهمّ أنّ العالم العربي منذ ذلك اليوم المشؤوم قد تصدّع بنيانه، ولم يجد من يرمِّمه إلى اليوم، رغم مناداة كثير من العقلاء بوجوب تخطِّي هذه الأزمة، التي لا يجوز أن تحكمنا عقدتها أبد الدهر، وهو ما يفرضه الدّين والقومية، والأخلاق والمصلحة المشتركة، بل ما يفرضه وجودنا ومصرينا، إن أردنا أن يكون لنا وجود ومصير في هذا العالم، الذي لم يعد فيه مكان للكيانات الصغيرة، ولا للكيانات المتفرقة والمبعثرة، ولهذا رأينا المتفرّقين تاريخيًّا يتَّحدون ويتناسون الماضي ونزاعاته وحروبه وثاراته، استجابة لنداء المصلحة المتبادلة، كما هو شأن الاتحاد الأوروبي.

ولكنّنا نرى اليوم بشائر لا يمكن تجاهلها، وهي وقوف العالم العربي كله ضد الولايات المتحدة التي تريد توجيه ضربة عسكرية للعراق، إنّ هذه الوقفة العربية ضد التألّه الأمريكي، يدلّنا على أنّ هذه الأمة لن تموت.

QaradawiBooks.com

الوهن الإسلامي:

وإذا كان العجز العربي عرضًا لا يدوم، فكذلك الوهن الإسلامي، إنَّه أمر يعرض للأمم كما تعرض الأمراض للجسم الصحيح، لا يلبث أن يعالج منه ويشفى.

وكم أصابت هذه الأمة من آفات وأمراض، في أدوار من التاريخ، حَسِبَ أعداؤها أنَّها لن تبرأ منها، وأنَّها هي القاضية والقاتلة. ولكنها خرجت منها كما يخرج الذهب من النار، أشدّ صفاء، وأكثر لمعانًا.

وحسْبنا من ذلك: غزوات الصليبيين من الغرب، وهجمات التتار من الشرق، في فترة ضعف من الأمة، وتفرّق بين أقطارها، وغفلة من حكامها، حتى سقطت قلاعها أمامهم أولّ الأمر، وتحكّموا في رقاب أهلها، وأقاموا لهم ممالك وإمارات، وبقي«المسجد الأقصى» أسيرًا في أيدي الصليبيين «تسعين عامًا» كاملة.

ثم هيّأ الله رجالًا لم يكونوا من جنس العرب، ولكن عرَّبهم الإسلام، منهم التركي مثل: عماد الدين زنكي، وابنه نور الدين محمود، والكردي مثل: صلاح الدين الأيوبي، وغيرهم مثل سيف الدين قطز، والظاهر بيبرس من قادة المماليك.

فعاد الصليبيون يجرّون أذيال الخيبة، ودخل التتار في دين الله أفواجًا.

وفي العصر الحديث احتلّ الاستعمار الغربي الزاحف ديار الإسلام، من إندونيسيا إلى المغرب، وحسب جنرالاته العسكريون، وزعماؤه السياسيون ـ ومن ورائهم المبشرون والمستشرقون ـ أن هذه الديار قد دانت لهم إلى الأبد، حتى إنّ بعضها اعتبروها جزءًا من أوطانهم كما في

QaradawiBooks.com

الجزائـــر. ثم ما لبث الإســـلام الذي يدينـــون به أن أيقظهـــم من رقود، وحركهم من جمود، ونفخ فيهم من روحه، فكانت «معارك التحرير» في كل بلد، وكان للدين القـــدح المعلَّى في الإيقـــاظ والتحريك والتجنيد والتجميع، وآخـــر ملحمة مع الاســـتعمار كانت ملحمة ثـــورة التحرير الجزائرية من سنة ١٩٥٤م حتى نالت استقلالها ١٩٦١م.

لقد نبّهنا الرسول المعلم على سبب الوهن الذي يصيب الأمة، وبين أنَّه سبب نفسي وأخلاقي، وذلك في الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود عن ثوبان: «**يوشـــك أن تتداعى عليكم الأممُ مـــن كل أُفُق، كما تتداعى الأَكَلة على قصعتها**». قالوا: أمِنْ قِلَّة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: «**بل أنتم يومئذٍ كثيـــر، ولكنّكم غثاءٌ كغثاء السَّـــيْل، ولينزعنَّ اللهُ من صدور عدوِّكم المهابةَ منكم، وليقذفنَّ في قلوبكم الوهْـــن**». قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: «**حبُّ الدُّنْيا وكراهيةُ الموت**»[(١)].

هذا هو سرّ الوهن وعلّته: حبّ الدنيا وكراهية الموت. فإذا غيّرت الأمة ما بنفسها، ولم تعد الدنيا أكبر همّها ومبلغ علمها، ولم تعد تبالي: أوَقَعَت على الموت أم وقع الموت عليها؟ هنالك يغيّـــر الله ما بها، ويبدّل حالها من ضعف إلى قوة، ومن ذلّ إلى عزّة، ومن هزيمة إلى نصر وتمكين.

وأرى بشـــائر ذلك قد بَـــدَتْ وتجلّت في هذه الصحوة الإســـلامية المعاصرة التي جدّدت العقول بالمعرفة، والقلوب بالإيمان، وأثرت في شباب الأمة ـ ذكورًا وإناثًا ـ تأثيرًا يشبه تأثير الغيث في الأرض الهامدة، حتى إذا نزل عليها الماء اهتزّت وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج.

---

(١) رواه أحمد (٢٢٣٩٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الملاحم (٤٢٩٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (٩٥٨).

QaradawiBooks.com

وقد بيّنا في دراسة سابقة لنا[١]:

أنّ الأمة المسلمة تملك مقوّمات القوة والرقي والسيادة من: الثروة البشرية (مليار وثلث من البشر)، والثروة المادية (من سهول وجبال ومعادن وبحار وأنهار... إلخ)، والثروة الحضارية من خلال موقعها في ملتقى القارات، ومنبت الحضارات ومهبط الرسالات. في أرضنا نبتت الحضارات الفرعونية والفينيقية والآشورية والبابلية والفارسية...» بالإضافة إلى الحضارة الإسلامية العربية. وفيها نشأت الرسالات السماوية الكبرى: اليهودية والمسيحية والإسلام.

هذا إلى الثروة الروحيّة الكبرى، التي تتميّز بها دون الأمم، فهي وحدها التي تملك رسالة الشمول والتوازن والعمق، المتمثلّة في رسالة الإسلام.

وقد بدأت بعض شعوب هذه الأمة، وأقطارها في النهوض، ومحاولة كسر حاجز التخلف الذي وُضعت فيه الأمة زمنًا طويلًا، وإنّ مع اليوم غدًا، وإنّ غدًا لناظره قريب.

التفرّد الأمريكي:

وأما التفرّد الأمريكي بالنفوذ والهيمنة على العالم، حيث غدت هي القطب الأوحد، والعلم المفرد، في توجيه السياسة الدولية، وفق مصالحها وأهوائها، وتسخير الأمم المتحدة وأجهزتها ومؤسساتها لخدمة أهدافها ورغباتها. التي لا يجوز لأحد الخروج عنها، أو التمرّد عليها، وإلا كان العقاب له بالمرصاد، اقتصاديًّا وسياسيًّا، بل وعسكريًّا عند اللزوم... أقول: هذا التفرّد ليس قدرًا مفروضًا على البشرية، يجب أن

(١) رسالة المبشرات بانتصار الإسلام، وهي من رسائل ترشيد الصحوة، نشر مكتبة وهبة، القاهرة.

QaradawiBooks.com

تتقبله طوعًا أو كرهًا، صوابًا أو خطئًا، عدلًا كان أو جورًا. إنَّما هو وليد ظروف معينة مرّت بالعالم قابلة لأن تتغيّر.

ومن سنّة الله: أنّ القوي لا يظلّ قويًّا أبد الدهر، وأنّ الضعيف لا يظلّ ضعيفًا أبد الدهر، وكم رأينا من قويّ أصابه الضعف، وضعيف أدركته القوة، وكم من عزيز ذلّ، وذليل عزّ، وفي التاريخ الحافل، وفي الواقع الماثل: نماذج وأمثلة لا تخفى.

كما أنَّ من عدل الله تعالى، وحكمته في خلقه: ألا يدع قوة واحدة تتحكم في خلقه، وتفرض عليهم سلطانها رغبًا ورهبًا. بل من سنّته تعالى: التدافع بين الناس، حيث يدفع ظلم بعضهم ببعض، وشرّ بعضهم ببعض، وإلا لتسلط عليهم الطغاة والجبارون فأهلكوهم، أو ساموهم سوء العذاب. يقول تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وقال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠].

وعلى ضوء هذه السنة قام الاتحاد السوفيتي الشيوعي عدّة عقود بمدافعة التجبُّر الأمريكي الأوروبي الرأسمالي، وأدّى ذلك إلى قدر من التوازن استفادت منه الشعوب الضعيفة والأوطان المهضومة، وإن كان كل من الطرفين الشيوعي والرأسمالي ظالمًا في نفسه، ولكن الله يدفع ظالمًا بظالم. كما قال الشاعر:

وما من يدٍ إلا يدُ اللهِ فَوْقَها ... ولا ظالم إلا سيُبلى بظالمِ![1]

(١) ذكره الثعالبي في التمثيل والمحاضرة صـ ١٠ ـ تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، نشر الدار العربية للكتاب، ط٢، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م ـ ولم ينسبه.

QaradawiBooks.com

ومن هنا كان المسلمون قديمًا يدعون الله قائلين: اللهم اشغل الظالمين بالظالمين، وأخرجنا من بينهم سالمين.

ومن الأمثال المأثورة: إذا اصطلحت الهِرَّة والفأر خربت دُكَّان البقَّال.

فمن مصلحة البشر ـ وخصوصًا الضعفاء منهم ـ اختلاف الأقوياء الظالمين وتعارض مصالحهم. وليس من مصلحتهم أن يتّفقوا، فإنّ اتفاقهم نقمة، واختلافهم رحمة ـ كما ليس من مصلحتهم أن ينفرد أحدهم بالقوة، ويزول خصومه من الميدان.

وبمقتضى هذه السنة لا بد أن تظهر قوة، أو قوى جديدة أخرى تنازع أمريكا وتغالبها وتدافعها، حتى لا تفسد الأرض، وربما كان من دلائل ذلك: الاتفاق الروسي الصيني، الأخير والشهير، الذي يؤذن ببروز قوة جديدة، ربما لم تتكامل الآن كل أدوات قدرتها التي تنافس بها أمريكا، ولكنها ـ على الأقل ـ تملك قوة عسكرية وبشرية هائلة، في مقابل التفوّق التكنولوجي والاقتصادي الفارع الذي تتمتع به الولايات المتحدة الأمريكية.

وإذا كان من شأن التفرّد الأمريكي ألا يستمر، فكذلك شأن التحيز الأمريكي الدائم لإسرائيل، فهو موقف غير أخلاقي، وغير إنساني، وغير مبرّر. وأحسب أن الشعب الأمريكي المضلّل عن الحقيقة بصنع الإعلام المكثّف الذي يوجّهه، ويسيطر عليه اللوبي اليهودي في أمريكا، سيأتي يوم تنكشف فيه الغشاوة عن عينيه، ويرى الحقيقة مجردة بلا تمويه ولا تزييف، ويومئذٍ لن يكون مع الظالم ضدّ المظلوم، ولا مع الغاصب ضد المغصوب، ولا مع اللصّ ضد صاحب الدار.

QaradawiBooks.com

الغياب العالمي:

وكذلك يقال في الغيــاب العالمي، فهو ـ في الواقع ـ أثر للتســلط الأمريكي على العالم، بســيف المعزّ وذهبه. وعدم وجود زعماء أقوياء يقولون كلمة الحــق، ولا يخافون لومة لائم، ولا ظلــم ظالم. فقد بات العالم قرية عمدتها رئيس الولايات المتحدة. ووزير الدفاع الأمريكي هو شيخ خفرائها، ووزير الخارجية الأمريكي هو شيخ البلد فيها.

حتى أوروبا لم يعد لها تأثير يذكر في سياسة العالم وقضاياه الكبرى، وإن حاولت بعض دولها أن يكون لها موقف تميز عن أمريكا، كما نرى فرنسا أحيانًا.

أما كتلة «عدم الانحياز» فلم يعد لها علم مرفوع، ولا صوت مسموع.

إن العالم الذي ربا عدد سكانه على ســتة مليارات أصبح «أحجارًا على رقعة الشــطرنج» تحرّكها أصابع أمريكا حيث تشاء، لا تبالي بفيل ولا حصان ولا «طابية» بل لا تعبأ بوزير ولا ملك. فهي تحيي منهم من تشاء وتميت من تشاء، وقتما تشاء.

هل ســيبقى العالم لعبة في يد أمريكا إلى الأبد؟ مســتحيل، وهل يستمر هذا الغياب العالمي طويلًا؟ لا أظنّ ذلك.

إن الظروف المساعدة لإسرائيل ـ عالميًّا وإسلاميًّا وعربيًّا وفلسطينيًّا ـ لن تبقى إلى الأبد، فالدهر قلب، والدنيا دول، ودوام الحال من المحال، وصدق الله؛ إذ يقول: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

ومن المبشّرات العاجلة: ما قضت به محكمة العدل الدولية في قضية «لوكربي» التي اتخذت ذريعة ضد ليبيا، وقد كان حكم المحكمة صفعة

QaradawiBooks.com

للولايات المتحدة وبريطانيا، وانتصارًا للجمهورية الليبية، مما يوحي بأن في الزوايا خبايا، وأنّ في العالم رجالًا أحرارًا، لا يشترون، ولا يخافون.

ربما انتقدنا بعض رجال السياسة، واتهمونا ـ نحن علماء الدين ورجال الفكر الإسلامي ـ بأننا «رومانسيون» نعيش في مثاليات، ونسبح في بحار الأماني والأحلام، ولا نرضى بالواقع. وقد قال علي بن أبي طالب لابنه: إيّاك والاتّكالَ على المُنى، فإنها بضائع النوكى[1] (الحمقى).

وقال الشاعر:

ولا تكنْ عبدَ الْمُنَى، فالمنى رؤوس أموال المفاليس![2]

وأود أن أقول لهؤلاء: إن من شأن الإنسان الحي أن يتخيل، وأن يحلم، وعلى قدر همّة المرء وطموحه تكون أحلامه صغرًا وكبرًا.

وما لنا لا نحلم، وقد حلم اليهود قبلنا بإقامة دولتهم، وقد أقاموا في ديارنا، ولم يكن هناك أي شيء على الأرض يدل على ذلك، وقد عاشوا حتى غدت أحلام الأمس حقائق اليوم.

فما علينا إذا حلمنا بالانتصار على عدونا، واستعادة أرضنا وحقنا، حتى تكون أحلام اليوم حقائق الغد، ولا سيما وحقائق الوجود، ووقائع التاريخ، وسنن الله في الكون كلها تؤيدنا.

كل ما ينقصنا هو «إرادة الصمود والتحدي»، والتحرر من اليأس والضعف، والثورة على الرضا بالهون، والعيش الدون، والقدرة على أن نقول بملء فينا، وبأعلى صوتنا: لا، ثم لا.

(١) ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد (١٠٢/٣).

(٢) من شعر أبي بكر الخالدي، كما في التمثيل والمحاضرة صـ ١١٣.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إننا إذا قلناها مجتمعين صارخةً مدوِّية، عالية متحديّة، ستزلزل قلوب أعدائنا، ويكون لها ما بعدها.

إنّ كل ما نريده اليوم: أن ننتصر على ضعف أنفسنا، وأن نستعيد ثقتنا بالله تعالى، ونستجيب لقول الله تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٥].

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

حقيقة المعركة بيننا وبين إسرائيل

أودُّ أن أبيِّــن هنا بوضوح نقطــة مهمة، كثيرًا ما يشــوبها الغموض أو الالتباس في أذهان كثير من الناس، ولا سيما من المتدينين المسلمين. وكثيرًا ما تستغلّها إســرائيل في دعايتها الصهيونية، لكسب الرأي العام ـ وخصوصًا الغربي ـ إلى صفّها.

هذه النقطة تتعلّق بأســباب المعركة بيننا وبين اليهود وحقيقتها، فما هذه الأسباب التي أشــعلت نار الحرب بيننا وبين اليهود في فلسطين، قبل أن تقوم إسرائيل في سنة ١٩٤٨م، وبعد قيامها إلى اليوم؟

هل نعادي إسرائيل لأنَّها سامية؟

هل سبب العداوة والحرب المستعرة بيننا ـ نحن العرب والمسلمين ـ وبين إسرائيل: أنَّها دولة سامية؟

والجواب: أنّ هذا أبعد ما يكون عن تفكير المسلمين، ولا يتصوّر أنّ يرد هذا بخواطرهم؛ لسببين أساسيين:

الأول: أننا ـ نحن العرب ـ ساميون، ونحن مع بني إسرائيل في هذه القضية أبناء عمومة، فــإذا كانوا هم أبناء إســرائيل ـ وهو يعقوب ـ ابن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، فنحن أبناء إسماعيل بن إبراهيم عليهم السلام.

QaradawiBooks.com

ولا تستطيع إسرائيل أن تزايد علينا في ذلك، ولا أن تتّهمنا بأنّنا أعداء «السامية» التي تتاجر بها في الغرب، وتشهرها سيفًا في وجه كل من يعارض سياستها، أو ينتقد سلوكياتها العدوانية واللاأخلاقية، بل اعتبر القرآن المسلمين كافة أبناء إبراهيم: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨].

والثاني: أنّ المسلمين عالميون إنسانيون بحكم تكوينهم العقدي والفكري، وليسوا ضد أي عرق من العروق أو نسب من الأنساب، وقد علّمهم دينهم أنّ البشرية كلّها أسرة واحدة، تجمعهم العبودية لله، والبنوة لآدم، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقال رسولهم الكريم: «**أيّها الناس، إنّ ربَّكم واحد، وإنّ أباكم واحد، كلُّكم لآدمَ، وآدمُ من تراب**»[(١)].

على أنّ اليهود اليوم لم يعودوا كلّهم ساميِّين، كما يزعمون، فقد دخل فيهم عناصر شتى من سائر أمم الأرض، كما هو معروف عن يهود «مملكة الخزر» وغيرهم. وهذا طبيعي، فاليهودية ديانة، وليست جنسية.

هل نعادي إسرائيل لأنَّها يهودية؟

وإذا كانت «السامية» ليست واردة في أسباب حربنا وعداوتنا لإسرائيل، فكذلك «اليهودية» باعتبارها ديانة ليست هي السبب.

---

(١) رواه أحمد (٢٣٤٨٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٦٢٢): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. عمن سمع خطبة النبي.

QaradawiBooks.com

إنّ اليهودية في نظر المسلمين «ديانة كتابية» من الديانات السماوية، جاء بها رسول الله موسى الذي اصطفاه الله برسالاته وبكلامه، وأنزل عليه التوراة فيها هدى ونور، وهو من أولى العزم من الرسل، وفي القرآن نقرأ قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۞ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف: ١٤٤، ١٤٥].

والقرآن اختار لليهود والنصارى «لقبًا» يوحي بالقرب والإيناس منهم، وهو «أهل الكتاب»، ويناديهم بذلك «يا أهل الكتاب» ويعني به: التوراة والإنجيل، إشعارًا بأنهم ـ في الأصل ـ أهل دين سماوي، وإن حرَّفوا فيه وبدَّلوا.

اليهود أقرب إلى ملة إبراهيم من النصارى:

بل أزيد على ذلك فأقول: إنّ اليهود من الناحية الدينية أقرب إلى المسلمين في كثير من الأمور من النصارى المسيحيين؛ لأنَّهم أقرب منهم إلى ملة إبراهيم عليه السلام، سواء في العقيدة أم في الشريعة.

فإنّ النصارى غيّروا كثيرًا من أصول الدين وفروعه، على حين احتفظ اليهود ببعض هذه الأشياء ممّا ورث من ملة إبراهيم أبي الأنبياء عليه السلام.

فاليهود لا يقولون بالتثليث الذي يقول به النصارى، ولا يؤلِّهون موسى، كما يؤلِّه النصارى المسيح عيسى عليهما السلام، وإنّ وقع اليهود في تشبيه الخالق بخلقه، كما يبدو ذلك بجلاء لكل من يقرأ أسفار التوراة، وحديثها عن الألوهية.

على أنّ كلّ ما يؤمن به اليهود فيما يتعلق بالألوهية والنبوة يؤمن به المسيحيون؛ لأن التوراة وملحقاتها«كتاب مقدَّس» عندهم.

QaradawiBooks.com

ويزيدون على اليهود ما انفردوا به من تأليه المسيح أو القول بالتثليث.

واليهود يختنون أبناءهم على سنة إبراهيم عليه السلام كما يختن المسلمون، والنصارى لا يختنون.

واليهود يشترطون الذبح لحل أكل الحيوانات والطيور كما يفعل المسلمون، والمسيحيون لا يذبحون؛ لأن «بولس» قال لهم: كلُّ شيءٍ طاهرٌ للطاهرين!

واليهود يحرّمون الخنزير كما يحرمه المسلمون في حين أحله النصارى، واليهود يحرّمون التماثيل التي تصنع للملائكة أو للأنبياء والقديسين، كما يحرمها المسلمون، في حين لا يحرّمها النصارى، ولذلك امتلأت كنائسهم ومعابدهم بهذه الصور والتماثيل من كل حجم ولون.

فلو كنّا نحارب اليهود من أجل العقيدة، لحاربنا النصارى المسيحيين أيضًا.

ومن أجل هذا يتبين لنا خطأ بعض عوام المتدينين الذين يتوهمون أن الحرب القائمة بيننا وبين اليهود حرب من أجل العقيدة، ومعنى هذا: أنّنا نقاتل اليهود، لأنَّهم يهود كفروا برسالة محمد، وحرّفوا كلام الله عن موضعه، شوَّهوا حقيقة الألوهية في كتابهم، فقد شبّهوا الخالق بالمخلوق، كما شبه النصارى بعدهم المخلوق بالخالق، ولوّثوا صورة الرّسل والأنبياء... إلى آخر ما هو معروف عنهم، مما حكاه القرآن من قتلهم الأنبياء بغير حق، وتطاولهم على الله حتى قالوا: يد الله مغلولة، وقالوا: إنّ الله فقير، ونحن أغنياء!

وهذه النظرة التي قد تخطر في بال بعض الناس خاطئةٌ تمامًا، فاليهود كما رأينا يعتبرهم الإسلام أهل كتاب، يبيح مؤاكلتهم، ويبيح

QaradawiBooks.com

مصاهرتهم، وقد عاشوا قرونًا بين ظهراني المسلمين، لهم ذمّة الله تعالى، وذمّة رسوله، وذمّة جماعة المسلمين، وقد طردهم العالم، ولفظهم لفظ النواة، من إسبانيا وغيرها، ولم يجدوا صدرًا حنونًا، إلا في دار الإسلام، وأوطان المسلمين، ولم يفكّر المسلمون يومًا أن يحاربوا اليهود.

بل هم قد بلغوا في بعض الأقطار الإسلامية من النفوذ والغنى والقرب من الخلفاء والأمراء مبلغًا عظيمًا، جعل بعض المسلمين يغبطونهم عليه أو يحسدونهم، وقال في ذلك شاعر مصري ساخر:

يهودُ هذا الزمانِ قد بلغوا ... غايةَ آمالِهم وقد مَلَكُوا
المجدُ فيهم، والمالُ عندهمو ... ومنهمُ المستشارُ والمَلِكُ!
يا أهلَ مصْرَ، إنِّي نصحتُ لكم ... تَهَوَّدوا، قد تهوَّد الفَلَكُ![1]

سوء موقف اليهود من دعوة الإسلام:

وربّما كان سبب اعتقاد كثير من المسلمين أنّ اليهود أسوأ في العقيدة من النصارى: هو سوء موقف اليهود من دعوة الإسلام، ومن رسول الإسلام ﷺ. كما يتجلّى ذلك في موقف يهود المدينة: بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة.

فهو موقف في غاية السوء والعداوة للدين الجديد، والنبي الجديد، رغم أنهم كانوا يبشرون قبل ذلك بنبي قد قرب زمانه، وكانوا يهدّدون جيرانهم من العرب ـ الأوس والخزرج ـ أنهم سيؤمنون به، وينضمون إليه، ويقتلونهم معه قتل عاد وإرم. ويبدو أنهم كانوا يظنّونه من بني إسرائيل، فلما وجدوه من بني إسماعيل، منعهم البغي والحسد أن يؤمنوا به.

(١) انظر: حسن المحاضرة للسيوطي (٢٠١/٢)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ط١، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

QaradawiBooks.com

وجاء في ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٨٩ ـ ٩١].

ومع كفرهم برسالة محمد، فإنّ الرسول ﷺ بعد الهجرة عاهدهم، وأقام معهم اتفاقية تقوم على التعايش والتناصر معًا، وكتب معهم «الصحيفة» الشهيرة التي اعتبرها الكثيرون بمثابة «الدستور» الذي يحدد العلاقة بينهم وبين المسلمين. كما يحدد علاقة المسلمين بعضهم ببعض.

ولكنهم سرعان ما غلبت عليهم طبيعتهم في نقض العهود، وتعدّي الحدود، والكيد للرسول وأصحابه والانضمام إلى الوثنيين في حربهم للرسول، حتى تحالفت بنو قريظة مع المشركين المغيرين على المدينة، الذين أرادوا استئصال شأفة المسلمين، وإبادة خضرائهم.

وكان لا بد أن يقع الصدام بين الفريقين، الذي انتهى بجلاء بني قينقاع، وإجلاء بني الضير، وقتل مقاتلة بني قريظة، وقتال أهل خيبر.

ونزلت آيات القرآن في سور: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والحشر وغيرها، تندّد بموقف اليهود وشدّة عداوتهم للمسلمين، كما في قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ في حين تبين قرب مودة النصارى للمسلمين، حيث تقول الآية نفسها: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢].

ولهذا تجد الذين دخلوا في الإسلام من اليهود معدودين، نتيجة لتعصبهم وغرورهم وزعمهم أنهم شعب الله المختار، على حين دخلت شعوب كاملة من النصارى في الإسلام، مثل الشام ومصر وشمال إفريقيا والأناضول وغيرها.

ثم كان من كيد اليهود للمسلمين بعد ذلك ما يحفظه التاريخ، وما ترك أثره العميق في أنفس المسلمين.

السبب الحقيقي لمعركتنا مع اليهود:

والواقع أنّ المعركة بدأت بيننا وبين اليهود، بسبب واحد لا شريك له، وهو: أنهم اغتصبوا أرضنا ـ أرض الإسلام، أرض فلسطين ـ وشرّدوا أهلنا، أهل الدار الأصليين، وفرضوا وجودهم الدخيل بالحديد والنار، والعنف والدم... تكلّم السيف، فاسكت أيها القلم! وستظلّ المعركة قائمة بيننا وبينهم ما دامت الأسباب قائمة، وسيظلّ الصلح مرفوضًا إذا كان مبنيًّا على الاعتراف بأنّ لهم حقًّا فيما اغتصبوه من الأرض، إذ لا يملك أحد أن يتنازل عن الأرض الإسلامية، إنَّما يمكن إقامة هدنة بيننا وبين إسرائيل لفترة من الزمن، تقصر أو تطول، يكف فيها الطرفان عن الحرب، ويسود فيها الأمن، وتتبادل بعض العلاقات مع بعض.

أما مبدأ «الأرض مقابل السلام»، فهو مبدأ غريب حقًّا، فرضه منطق القوة الغاشمة للعدو، لا غير. لأن الأرض أرضنا، لا أرضه، حتى يتفضل بتنازله عنها، مقابل سلامه!

وحتى هذا السلام الأعرج، رفضته إسرائيل في النهاية، فهي تريد أن تأخذ ولا تعطي شيئًا.

QaradawiBooks.com

الطابع الديني للمعركة:

وهذا لا ينفي الطابع الديني عن المعركة، فالمعركة ـ وإن كانت من أجل الأرض ـ لها بواعثها الدينية ـ وأهدافها الدينية.

فكل معركة يدخلها المسلم للدفاع عن حق، أو لمقاومة باطل، أو لإقامة عدل، أو للثورة على ظلم، فهي معركة دينية، لأنَّها معركة في سبيل الله. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٧٦]

والإسلام يوجب على المسلمين ـ بالتضامن ـ الدفاع عن أرض السلام، ويعتبر ذلك من أقدس أنواع الجهاد، كما يعدّ من قُتِل في ذلك شهيدًا من أعظم الشهداء. والجهاد ـ دفاعًا عن الأرض ـ فرض عين على أهلها حتى تتحرّر، وإذا لم يكف أهلها للدفاع عنها، وجب على من يجاورهم، حتى يشمل المسلمين كافة في النهاية، ولا يجيز شرع الإسلام للمسلمين أن يتنازلوا عن ذراع واحد من أرض الإسلام.

فإذا كانت أرض الإسلام هي أولى القبلتين، وثالث المسجدين المقدسين، كان الجهاد في سبيل تحريرها أوجب وأعظم وأشرف، وأعلى مكانًا في دين الله.

وإذا كان مغتصبوها يحاربوننا بدوافع دينية، وأحلام دينية، كان أوجب علينا: أن نحاربهم بمثل ما يحاربوننا به، فإذا حاربونا بالتوراة حاربناهم بالقرآن، وإذا رجعوا إلى تعاليم التلمود رجعنا إلى البخاري ومسلم، وإذا قالوا: نعظّم السبت، قلنا: نعظّم الجمعة، وإذا قالوا: الهيكل، قلنا: الأقصى. وبالجملة إذا قاتلونا تحت راية اليهودية قاتلناهم تحت راية الإسلام، وإذا جنّدوا جنودهم باسم موسى: جندنا جنودنا باسم موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، فنحن أولى بموسى منهم!

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

بطلان دعاوى اليهود في القدس وفي فلسطين عامّة

لليهود والصهاينة دعاوى عريضة، يزعمون بها أن لهم حقًّا في القدس أو في فلسطين كلّها، وهم يتبجّحون بهذه الدعاوى، التي لا سند لها من الدين ولا من التاريخ، وإن أسندوها زورًا إلى الدين وإلى التاريخ.

لا حقّ لليهود في القدس، ولا في فلسطين:

ونؤكّد هنا بما لا يدع مجالًا للشك: أنّ القدس عربية إسلامية، كما أنَّ فلسطين كلّها عربية إسلامية، وليس لليهود فيها أيّ حق، حتّى يسلبوها من أهلها، ويحوّلوها إلى عاصمة لدولتهم القائمة على الاغتصاب والعدوان.

إنّ اليهود يزعمون أنّ لهم حقًّا تاريخيًّا، وحقًّا دينيًّا في فلسطين، والواقع أنهم مغتصبون لأرض غيرهم، وليس لهم أدنى حقّ في هذه الأرض، لا من الناحية التاريخية، ولا من الناحية الدينية. كما سنبيّن ذلك فيما يلي:

مناقشة عامة:

وقبل أن ندخل في مناقشة الحقّ المزعوم لليهود في فلسطين نودّ أن نسألهم: لماذا لم يظهر هذا الحق طوال القرون الماضية؟ بل لماذا لم

QaradawiBooks.com

يظهر في أول الأمر عند ظهور الصهيونية السياسية المنظّمة على يد«هرتزل»؟ فمن المعروف أنّ فلسطين لم تكن هي المرشحة لتكون الوطن القومي لليهود. بل رشّحت عدة أقطار في أفريقيا وأمريكا الشمالية كذلك، ولم تظهر فكرة فلسطين باعتبارها أرض الميعاد، إلا بعد فترة من الزمن.

لقد حاول هرتزل الحصول على مكان في «موزمبيق»، ثم في «الكنغو» البلجيكي. كذلك كان زملاؤه في إنشاء الحركة الصهيونية السياسية، فقد كان «ماكس نورداو» يلقب بالإفريقي، و«حاييم وايزمان» بالأوغندي، كما رشّحت «الأرجنتين» عام ١٨٩٧م، و«قبرص» عام ١٩٠١م، و«سيناء» في ١٩٠٢م، ثم «أوغندا» مرة أخرى في ١٩٠٣م، بناء على اقتراح الحكومة البريطانية. وأصيب هرتزل بخيبة أمل كبيرة، لأنّ اليهود في العالم لم ترق لهم فكرة دولة يهودية سياسية، سواء لأسباب أيديولوجية، أو لأنَّهم كانوا عديمي الرغبة في النزوح عن البلاد التي استقرّوا فيها. بل إن مؤتمر الحاخامات الذي عقد في مدينة فيلادلفيا في أمريكا في أواخر القرن التاسع عشر أصدر بيانًا يقول: إنّ الرسالة الروحية التي يحملها اليهود تتنافى مع إقامة وحدة سياسية يهودية منفصلة!

وإزاء هذا الموقف، فكر «هرتزل» في طريقة يواجه بها هذا الوضع، وهداه تفكيره إلى أن يحوّل الموضوع إلى قضية دينية يلهب بها عواطف جماهير اليهود... ورأى أنّ فلسطين هي المكان الوحيد الذي يناسب هذه الدعوة الجديدة، ولليهود بفلسطين علائق تاريخية، ولهم فيها مقدسات دينية، وارتفعت راية الدين على سارية المشروع والتهبت العواطف، وانتصر رأي «هرتزل»، وإن يكن بعد وفاته، فقد احتضن المؤتمر اليهودي العالمي فكرة الوطن اليهودي في فلسطين عام ١٩٠٥م، بعد موته بسنة.

QaradawiBooks.com

دعوى الحق التاريخي:

من المعروف تاريخيًّا: أنّ أوّل من بنى القدس هم «اليبوسيون»، وهم قبيلة من قبائل العرب القدامى، نزحت من شبه الجزيرة العربية مع الكنعانيين، وذلك منذ نحو ثلاثين قرنًا قبل الميلاد، وكانت تسمى «أور شالم» أو «مدينة شالم»، وهو إله اليبوسيين، كما احتفظت باسمها الأول «يبوس» نسبة إلى القبيلة، وقد ورد ذكر هذا الاسم في التوراة.

وبعد ذلك سكن القدس، وسكن فلسطين عامة: العرب الكنعانيون وغيرهم قرونًا وقرونًا، إلى أن جاءها إبراهيم عليه السلام مهاجرًا من وطنه الأصلي بالعراق، غريبًا، وقد دخل فلسطين هو وزوجه سارة، وعمره ـ كما تقول أسفار العهد القديم ـ (٧٥) سنة.

ولمّا بلغ (١٠٠) سنة ولد له إسحاق[١]، ومات إبراهيم وعمره (١٧٥) سنة، ولم يمتلك شبرًا من فلسطين، حتى إنّ زوجه سارة لما ماتت طلب من الفلسطينيين لها قبرًا[٢] تدفن فيه.

ولمّا بلغ إسحاق (٦٠) سنة ولد له يعقوب، ومات إسحاق وعمره (١٨٠) سنة، ولم يملك شبرًا أيضًا منها.

ارتحل يعقوب بذريته بعد أبيه إلى مصر، ومات بها وعمره (١٤٧) سنة، وكان عدد بنيه وأولادهم (٧٠) نفسًا لما دخلها، وكان عمره (١٣٠) سنة[٣].

(١) سفر التكوين فقرة (١٢).
(٢) سفر التكوين فقرة (٢٣).
(٣) سفر التكوين فقرة (٤٦).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ومعنى هذا أنّ المدّة التي عاشــها إبراهيم وابنه إســحاق، وحفيده يعقوب في فلسطين: (٢٣٠) ســنة، وقد كانوا فيها غرباء لا يملكون من أرضها ذراعًا ولا شبرًا.

وتقول التوراة: إنّ المدة التي عاشها بنو إسرائيل بمصر حتى أخرجهم موسى: (٤٣٠) سنة[١]، كانوا أيضًا غرباء لا يملكون شيئًا، كما تقول التوراة: إنّ المدة التي عاشها موسى، وبنو إسرائيل في التيه بسيناء (٤٠) سنة، أي أن العهد الذي صدر إليهم من الله مضى عليه حينذاك (٧٠٠) سبعمائة سنة، وهم لا يملكون في فلسطين شيئًا، فلماذا لم يحقّق الله تعالى وعده لهم؟؟

ومات موسى، ولم يدخل أرض فلســطين، إنَّما دخل شرقي الأردن ومات بها[٢]، والذي دخلها بعده: يشوع «يوشع»، ومات بعد ما أباد أهلها «كما تقول التوراة». وقسّم الأرض على أســباط بني إسرائيل، ولم يقم لبني إســرائيل ملك ولا مملكة، وإنَّما قام بعده قضــاة حكموهم (٢٠٠) سنة، ثم جاء بعد القضاة حكم الملوك: شاؤول وداود وسليمان، فحكموا (١٠٠) ســنة، بل أقل، وهذه هي مدّة دولتهم، والفترة الذهبية لهم. وبعد سليمان انقســمت مملكته بين أولاده: يهوذا في أورشليم، وإسرائيل في شــكيم «نابلس»، وكانت الحرب بينهما ضروسًــا لا تتوقف، حتى جاء الغزو البابلي فمحقهما محقًا، دمر الهيكل وأورشــليم، وأحرق التوراة، وسبى كل من بقي منهم حيًّا، كما هو معلوم من التاريخ...

ويعلق على ذلك الشــيخ عبد المعز عبد الســتار في كتابه «اقترب الوعد الحق يا إسرائيل» قائلًا:

---

(١) سفر التكوين فقرة (١٥).

(٢) سفر الخروج التثنية فقرة (٣). خروج (٨: ٣، ١٧: ٣)، تثنية (٤: ٣٤).

QaradawiBooks.com

فلو جمعت كل السنوات التي عاشــوها في فلسطين غزاة مخربين، ما بلغت المــدة التي قضاهــا الإنجليز فــي الهنــد أو الهولنديون في إندونيســيا! فلو كان لمثل هــذه المدّة حــقّ تاريخي لــكان للإنجليز والهولنديين أن يطالبوا به مثلهم!

ولو كانت الأرض تملك بطول الإقامة في زمن الغربة، لكان الأولى بهم أن يطالبوا بملكية مصر التي عاشــوا فيها (٤٣٠) سنة بدل فلسطين التي عاش فيهــا إبراهيم وأولاده (٢٠٠) ســنة أو تزيد قليــلًا، ودخلوها شخصين وخرجوا (٧٠) نفسًا!

لكن هؤلاء اليهود لا يدعون الحق في امتلاك أرض فلسطين وحدها، وإنَّما يدعون الحق في امتلاك الكرة الأرضية كلّها.

الله تعالى يقــول: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ﴾ [الرحمن: ١٠]، أي لجميع الخلق، وهؤلاء يقولون: «حين قســم العلي الأمم وفرّق بني آدم، وضع تخوم الأرض على عدد أسباط بني إســرائيل»![1] ويقولون كما جاء في سفر يشــوع[2]: «كل موضع تدوســه بطون أقدامكن يكون لكم»! فعلى مقتضى هذا المبدأ والقانون يكون من حقّهــم أن يطالبوا بمصر، وكل أرض وطئوها.

بل في نكبة (٥ يونيو ١٩٦٧م) سأل مندوب «الإسوشيتد برس» جنديًّا إسرائيليًّا: ما هي حدود دولة إسرائيل؟ فأجابه بكل صلف وغرور: «حيث أضع قدمي»، وضرب بحذائه الأرض[3].

(١) سفر التثنية فقرة (٣٢)، أي فصلت الأرض على قدهم.
(٢) سفر يشوع فقرة (١)، وتثنية أيضًا.
(٣) صحيفة الأخبار بتاريخ ١٠ يونيو ١٩٦٧م.

QaradawiBooks.com

إنّ الحــقّ التاريخي الــذي يدعونه ـ كما يقول الشــيخ عبد المعز ـ خرافة وصلافة، فهم لن يقيموا في فلسطين إلا غرباء، كما تصرّح بذلك الأسفار، فهل للغريب أو عابر السبيل أن يدّعي ملكية الأرض التي أقلته، أو الشــجرة التي أظلته، لأنَّه قال تحتها ســاعة من نهار؟ على أنهم لم يقيموا بها آمنين عاملين مســتثمرين، وإنَّما أقاموا في سلسلة متصلة من الغارات الدامية، والحروب الدائرة التي لــم تتوقف فيما بينهم بعضهم وبعض «يهوذا وإسرائيل»، وفيما بينهم وبين الفلسطينيين.

وقد بلغ عدد من قتلوا من الفلسطينيين مائتي ألف قتيل[١]، وعدد من قتلهم داود وحده بعد ذلك أكثر من (١٠٠) ألف قتيل![٢] ـ حســب قول كتبهم ـ ثم دهاهم الغزو البابلي فبددهم.

على أنّهم لم يكادوا ينفكون من الغــزو البابلي، حتى جاءهم الغزو الروماني فأباد خضراءهم ومزّقهم كلّ ممزّق، ثم جاء الفتح الإســلامي وهم مشردون في الأرض، محرّم عليهم أن يقيموا في أورشليم، حتى أن البطريرك صفرنيوس بطريرك القدس شرط على أمير المؤمنين عمر، وهو يسلّمه مفاتيح القدس: ألا يسمح لليهود بدخول إيليا أو الإقامة فيها.

لقد دخلها العرب وهي خالية من اليهــود، بعد ما طردهم الرومان، وأسلم أهلها، وبقي العرب فيها أكثر من ألف وأربعمائة عام، أفلا يكون لهم حق تاريخي مثل اليهود؟[٣] اهـ.

---

(١) كما هو ثابت في فصول سفر القضاة.

(٢) سفر الملوك فقرة (٢، ٣).

(٣) انظر: اقترب الوعد الحق يا إسرائيل للشيخ عبد المعز عبد الستار صـ ١٧ ـ ٢١، نشر دار الطباعة والنشر الإســلامية، القاهرة. وهل لبني إســرائيل حقوق توراتية في فلسطين العربية لمحمد أحمد أبو فارس، صـ ١٧ ـ ٣٢، نشر مكتبة بيت الحكمة، لشبونة، ط ٢، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

مناقشة هادئة:

ونضيف إلى هذه الحقائق مناقشة هادئة نتمّم بها إبطال دعوى الحق التاريخي التي زعم بها اليهود أنّ فلسطين كلّها كانت أرض الآباء والأجداد.

يقول مؤلف «تاريخ اليهود»:

«والذي لا شكّ فيه أن داود ـ الذي يقال: إنّ مملكة إسرائيل وصلت في عهده إلى أقصى درجات اتساعها ـ لم يتمكن من فرض سيطرته، لا على المنطقة بين النيل والفرات، ولا على أرض كنعان وحدها، ولا حتى على منطقة شرق فلسطين الجبلية، وعلى ذلك فإنّ الأدلّة التاريخية تؤكّد أنّ أكبر رقعة استطاعت إسرائيل السيطرة عليها في أي وقت من الأوقات لم تكن في العصور القديمة، وإنَّما في العصر الحديث، عند احتلالها مجمل أرض فلسطين ومرتفعات الجولان، وجنوب لبنان وأرض سيناء، وكان ذلك للمرة الأولى (عام ١٩٦٧م).

فلم يكن لبني إسرائيل وجود ـ أيام داود ـ لا في أي موقع بالساحل الفلسطيني، ولا في الجليل بشمال فلسطين، بخلاف موقع صغير عند تلّ القاضي، ولا في صحراء النقب في الجنوب، وكان وجودهم عندئذ منحصرًا في بعض المواقع الجبلية في المنطقة الممتدة من دان «تل القاضي» في الشمال إلى «بئر سبع» في الجنوب.

وسوف نرى كيف أنّ الكهنة الذين أعادوا صياغة كتب «العهد القديم»، وهم في بابل خلال القرن السادس ق.م، استعاروا من الكتابات المصرية قصة حروب تحتمس الثالث، أعظم ملوك العالم القديم، لتكوين الإمبراطورية المصرية بين النيل والفرات ـ كما نجدها

QaradawiBooks.com

منقوشة على جدران معبد الكرنك ـ وأضافوها إلى رواية ملكهم داود، بل حتّى لم يحاولوا مزج الجزء الذي استعاروه من المصادر المصرية، وأدخلوه كما هو من دون تعديل كبير في وسط الرواية الرئيسية، فظهر واضحًا أنَّه لا علاقة له بباقي القصة، فنحن نجد داود بني إسرائيل، ومعه جيشه المكون من (٦٠٠) رجل يحاولون في صراع داخلي بين القبائل الإسرائيلية، أو مع الفلسطينيين، وفجأة نجد تفاصيل معركة كبيرة تخوضها جيوش منظمة في مواقع محصنة عدة من أرض الهلال الخصيب، ولم يكن صدق الرواية التاريخية يهمّ الكهنة في شيء، وإنَّما كان هدفهم الرئيسي من ادعاء هذه الانتصارات الجبارة هو حثّ بني إسرائيل على ترك عبادة الأصنام، والعودة إلى ديانة موسى، حتى ينصرهم ربهم على أعدائهم[1].

ولا بد لنا أن نذكر ـ ولو بإيجاز ـ ما صنعه البابليون والرومان ببني إسرائيل، الذين سلطهم القدر عليهم لتأديبهم، جزاء إفسادهم في الأرض وطغيانهم بغير الحق.

ففي عام (٥٩٧ ق.م) زحف الملك البابلي «نبوخذ نصر» على أورشليم، وأخذ معظم سكانها أسرى إلى بابل ـ وبتحريض من مصر ثارت البقية من سكان المدينة على سادتهم الجدد، فقدم ملك بابل بنفسه وفرض على أورشليم حصارًا استمر عامين (٥٨٨ ق.م)، واستسلمت المدينة على أثره ودمّرت، ولم يترك البابليون فيها إلا الضعفاء، أما بقية أهلها، فقد سيقوا في الأسر إلى نهر الفرات.

(١) انظر: تاريخ اليهود لأحمد عثمان (١٣٦/١، ١٣٧)، نشر مكتبة الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

ومنذ ذلك الوقت ـ كما يقول الأستاذ محمد صبيح ـ انتهى وجود اليهود في فلسطين كحكومة لها سلطة وشعب يتبعها.

وبقي لهم المعنى الديني، وهو أنهم شعبة من القبائل، تنتسب لإبراهيم الخليل صلوات الله عليه.

هذه هي خاتمة اليهود في أورشليم، أي فيما كان يسمى مملكة إسرائيل التي أنشأها داود عليه السلام ... ثم انقسمت من بعده إلى يهوذا، وإسرائيل... وقد حكم في أورشليم من بعد سليمان عشرون ملكًا حتى ابتداء السبي البابلي، وذلك في الفترة من عام (٩٣٠ ق.م) «وفاة سليمان» حتى عام (٥٨٦ ق.م).

أما المملكة الشمالية، التي كان اسمها إسرائيل، وعاصمتها شكيم «نابلس»، فقد حكمها الابن الثاني لسليمان الحكيم، أي عام (٩٣٠ ق.م) وانتهى وجودها سريعًا. ففي عام (٧٢٢ ق.م) أغار عليها سرجون الثاني ملك بابل، ودمّر وجودها، ونقل جميع أهلها إلى شرق الفرات، وأحلّ محلهم سكانًا جددًا من أبناء الرافدين. وكان عدد ملوك إسرائيل هذه تسعة عشر ملكًا، عاشوا في شغب، ومخالفات خائبة مع الوثنيين لمهاجمة أبناء عمومتهم في أورشليم.

وإذا حسبنا عمر هاتين الدولتين، تكون أورشليم «يهوذا» قد عمّرت (٤٣٤) سنة بما فيها ملك شاول وداود وسليمان «وإسرائيل» عمرت (٢٩٨) سنة فقط، منذ عهد شاول (١٠٢٠ ق.م).

وكما نرى فإنّ سيادة اليهود على قطعة محدودة من أرض فلسطين انتهت قبل ميلاد المسيح عليه السلام بحوالي ستة قرون، وبعد خمسة وعشرين قرنًا وبعض قرن، يحاولون أن يعيدوا هذا التاريخ السحيق مرة أخرى، وياله من تاريخ، ويالها من عودة!

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ونحن هنا نتحدث عن «السيادة» على قطعة من الأرض ونهايتها. أما ختام الوجود اليهودي في فلسطين، فقد تأخر بعض الوقت... تأخر إلى عهد الرومان إلى عام (٧٠م)، كما سنرى فيما بعد.

حديث القرآن عن إفساد بني إسرائيل وعقوبتهم:

وقد تحدّث القرآن الكريم عن هاتين النهايتين: تدمير سيادتهم بالأسر البابلي، وإنهاء وجودهم بالسحق الروماني، وذلك في الآيات الكريمة:

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۞ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۞ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۞ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ۞ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: ٤ ـ ٨].

آيات سورة الإسراء ورأي بعض علماء العصر:

وقد ذهب بعض علماء العصر مثل الشيخ الشعراوي، والشيخ عبد المعز عبد الستار وغيرهما إلى أنّ المرة الأولى في إفساد بني إسرائيل كانت في عصر النبوة بعد البعثة المحمدية، وهي ما قام به بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة، وأهل خيبر، من كيد وبغي على الرسول ﷺ وأصحابه، وقد نصرهم الله عليهم.

وكان العباد المسلّطون عليهم هم النبي والصحابة. بدليل مدح هؤلاء بإضافتهم إلى الله بقوله ﴿عِبَادًا لَّنَآ﴾. أما إفسادتهم الثانية، فهي ما يقومون

QaradawiBooks.com

به اليوم من علّو كبير وطغيان عظيم، وانتهاك للحرمات، وإهدار للحقوق، وسفك للدماء، وغيرها.

وسيتحقق وعد الله تعالى بتأديبهم وعقوبتهم، وتسليط المسلمين عليهم كما سلّطوا من قبل.

تفنيدنا لهذا الرأي وأدلّة ذلك:

ورأيي أنّ هذا التفسير ضعيف لعدّة أوجه:

أولًا: أنّ قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الإسراء: ٤]، أي أنهينا إليهم وأعلمناهم في الكتاب، والمراد به: التوراة، كما قال قبلها: ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة: ٥٣]. وما جاء في الكتاب أي أسفار التوراة يدل على أن هاتين المرتين قد وقعتا، كما في سفر تثنية الاشتراع.

ثانيًا: أنّ قبائل بني قَيْنُقاع والنَّضِير وقُرَيظة لا تمثِّل بني إسرائيل في قوتهم وملكهم، إنَّما هم شرائح صغيرة من بني إسرائيل بعد أن قُطِّعوا في الأرض أُمَمًا.

ثالثًا: أنّ الرسول والصحابة لم يجوسوا خلال ديار بني إسرائيل ـ كما أشارت الآية الكريمة ـ إذ لم تكن لهم ديار، وإنَّما هي ديار العرب في أرض العرب.

رابعًا: أن قوله تعالى ﴿عِبَادًا لَّنَآ﴾ لا يعني أنهم من عباده الصالحين، فقد أضاف الله تعالى الكفار والعصاة إلى ذاته المقدسة، كما في قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ [الفرقان: ١٧].

وقوله: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣].

QaradawiBooks.com

خامسًا: أن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ يتضمن امتنان الله تعالى عليهم بذلك، والله تعالى لا يمتن على بني إسرائيل بإعطائهم الكرة على المسلمين.

سادسًا: أن الله تعالى إنَّما رد الكرة لبني إسرائيل على أعدائهم بعد أن عاقبهم في المرة الأولى؛ لأنَّهم أحسنوا وأصلحوا، كما قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ واليهود ـ كما عرفناهم وشاهدناهم ـ لم يحسنوا ولم يصلحوا قط، ولذا سلط الله عليهم هتلر وغيره. كما يبتلي ظالمًا بظالم. وهم منذ نحو مائة سنة يمكرون بنا ويتآمرون علينا، ليسرقوا أرضنا، فمتى أحسنوا حتى يرد الله لهم الكرة علينا؟؟

سابعًا: أن الله تعالى قال في المرة الآخرة: ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾.

والمسلمون لم يدخلوا مسجدهم قبل ذلك بالسيف والقهر ولم يُتبِّروا ما علوا تتبيرًا، بل لم يكن شأن المسلمين أبدًا التتبير والتدمير في حروبهم وفتوحهم. إنَّما هو شأن البابليين والرومان الذين سلطوا على الإسرائيليين.

ثامنًا: أن ما أجمع عليه المفسرون القدامى أن مرّتي الإفساد قد وقعتا، وأن الله تعالى عاقبهم على كل واحدة منهما، وليس هناك عقوبة أشد وأنكى عليهم من الهزيمة والأسر والهوان، والتدمير على أيدي البابليين الذين محوا دولتهم من الوجود، وأحرقوا كتابهم المقدس، ودمروا هيكلهم تدميرًا، وكذلك ضربة الرومان القاصمة التي قضت على وجودهم في فلسطين قضاء مبرما، وشردتهم في الأرض شذر مذر، كما قال تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٨].

QaradawiBooks.com

والواضح أنهم اليوم يقعون تحت القانــون الإلهي المتمثل في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: ٨]. وها هم قد عادوا إلى الإفساد والعلو والطغيان، وسنة الله تعالى أن يعود عليهم بالعقوبة التي تردعهم وتؤدبهم، وتعرفهم قدر أنفسهم، كما قال الشاعر:

إن عادتْ العقــربُ عُدْنا لها بالنَّعْل، والنعلُ لها حاضِرةْ![1]

يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

وهذا الدمــار الأول، الذي تــمّ على أيدي البابلييــن، وتحدّث عنه القرآن الكريم على النحو الذي نراه، كان بالغ التأثير على اليهود... فقد أزال معظم الوجود اليهودي من فلسطين. وظهر من السهولة التي أجلى بها البابليون ســكان «منطقة إســرائيل»، على يد «ســرجون» ثم سكان «منطقة يهوذا» علــى يد «نبوخذ نصر». إنّ جذور هــؤلاء القوم لم تكن عميقة في أرض فلسطين. وإذا اســتثنينا المعبد وقصر سليمان، فلا تكاد تذكر لهم آثار خلال تســعة قرون قبل هذا الإجــلاء. وكل ما يمكن أن نقوله: إنهم أقاموا في جزء من أرض كنعــان، بما فيها من قرى صغيرة. وحتى المدن كانت أشبه بالقرى، باستثناء أورشليم وشكيم (نابلس)[2].

الفتح الإسلامي:

وقد فتح المســلمون القدس في عهد عمر، كما ذكرنا من قبل، ولم يتسلّموها من اليهود، بل لم يكن فيها يهودي واحد، فقد حرمها الرومان

(١) من شعر الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب، كما في عيون الأخبار (٣٦٦/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.

(٢) انظر: القدس ومعاركنا الكبرى لمحمد صبيح صـ ٢٧١ ـ ٢٧٣، نشر مؤسسة دار التعاون، القاهرة، ط ٢.

QaradawiBooks.com

عليهم، بعد أن أنهــوا وجودهم منذ أكثــر من أربعة قــرون، وكان من الشروط التي أقرّها عمر لبطريرك القدس: ألّا يساكنهم فيها يهود.

وظلّ العهد العمري محترمًا معمولًا به خلال التاريخ الإســلامي، لأن المسلمين مأمورون أن يتّبعوا سنة الخلفاء الراشدين المهديين، ولا ريب أنّ عمر منهم، إلى أنْ ظهر عهد آخر مزور على عمر رضي الله عنه، حذف منه النص بعدم إقامة اليهود في بيت المقدس، ولا ندري متى زوّر هذا العهد[1]، ومن ثم بدأ التســلل اليهودي إلى المدينة المقدسة في غفلة من المسلمين.

وقد ذكر لنا تاريخ الحروب الصليبية: ماذا أصاب المدينة المقدســة عندما احتلّها الصليبيون، وقتلوا ستين ألفًا في مسجدهم، وبقيت تحت أيديهم تســعين عامًا، إلى أن حررها القائد المسلم المظفر صلاح الدين الأيوبي رحمه الله سنة (١١٨٧م) بعد انتصاره على الصليبيين في معركة حطين الشــهيرة، مكمّلًا ما بدأه من قبل القَائِدان الكَبيرَان: عماد الدين زنكي، وابنه نور الدين محمود الشهيد.

ولم يعــر التاريخ التفاتًا إلــى الوجود اليهودي في فلســطين، ولم يعطهم اهتمامًا، وعاملهم كما يعامل أهل الذمّة في دار الإسلام تسامحًا وكرمًا وعدلًا وبرًّا.

محاولات الصهيونية الحديثة الضغط على الدولة العثمانية:

ولكن الذي يحفظه التاريخ جيدًا هــو محاولات الصهيونية الحديثة الضغط على الدولة العثمانية، وخصوصًا في فترات شيخوختها وضعفها،

(١) انظر: القدس ومعاركنا الكبرى صـ ٢٨٢ ـ ٢٨٩.

QaradawiBooks.com

للســماح لليهود بتملك أجزاء من فلسطين، ولا سيما في عصر السلطان عبد الحميد، الذي وقف موقفًا مشرفًا يحفظه التاريخ، ويسجّله له بأحرف من نور.

كتب الدكتور حســان حلاق[1] في صحيفة «النهــار» اللبنانية تعقيبًا جيدًا مبنيًّا على الحقائق التاريخية، قال فيه:

منــذ أن تولّــى الســلطان عبد الحميــد الثانــي الســلطنة العثمانيــة (١٨٧٦ ـ ١٩٠٩م) تنبّه إلى خطورة إشــغال الأراضي الفلســطينية لا سيما من اليهود، لهذا فقد أصــدر منذ فترة مبكّرة فرمانات ســلطانية عدّة تمنع إقامة اليهود الدائمة في فلســطين. وفي عام (١٨٨٢م) صدرت قرارات جديدة بهذا المعنــى ردًّا على محاولات «جمعيــة أحباء صهيون»: الحصــول على إذنٍ رسميٍّ بالهجرة، وقد حاول في الفترة ذاتها «لورنس أوليفانت» (L. Oliphant) أن يوسط استراوس السفير الأمريكي في الأســتانة للسماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين، غير أن مساعيه فشلت لدى السلطان والأوساط العثمانية، وكان جواب السلطان عبد الحميد الثاني: «أنّ اليهود يستطيعون العيش بسلام في أيّــة جهة مــن المملكة إلا فــي فلســطين، وأنّ الدولــة العثمانيــة ترحّب بالمضطهدين، ولكنها لا ترحّــب بإقامة مملكة لليهود في فلســطين يكون أساســها الدين، وعلى اليهود المهاجرين إلى الأراضي العثمانية أن يصبحوا رعايا عثمانيين، وأن يقبلوا تطبيق القوانين المعمول بها في الإمبراطورية».

لهذا فقد حــرص الســلطان عبد الحميد على تعييــن متصرفين في فلسطين ممن يستطيعون منع الهجرة اليهودية واستقرار اليهود في مدنها، وكان في مقدم هــؤلاء متصرّف القدس رؤوف باشــا (١٨٧٦ ـ ١٨٨٨م)،

(١) أستاذ جامعي في بيروت، وله كتاب عن علاقة الدولة العثمانية بفلسطين.

QaradawiBooks.com

وعندما تيقّنت الدولة العثمانية أنّ بعض الدول الأجنبية تساعد على تسريب اليهود إلى فلسطين أصدر الباب العالي قرارًا في (٢٩ حزيران ١٨٩٢م) تضمن ضرورة منع الذين يحملون جنسيات أجنبية من الدخول إلى فلسطين، وتكرّرت هذه الفرمانات، وأبلغت إلى القنصليات الأجنبية، مع استياء الدولة العثمانية من ممارستها في دعمها الهجرة اليهودية.

هذا وقد أكّدت وثائق وزارة الخارجية البريطانية (F.O) موقف الدولة العثمانية الصارم ضد الهجرة اليهودية، ومن بينها تقارير ديكسون (Dickson) القنصل البريطاني في القدس حينما أشار في تقرير بتاريخ (١٤ شباط ١٨٩٢م) إلى «أنّ التعليمات الصادرة من الباب العالي تفيد بأن هجرة اليهود بقصد الاستقرار في فلسطين غير مسموح بها، أمّا الذين يرغبون في زيارة البلاد كحجّاج، فسوف يسمح لهم بالإقامة لمدة تتراوح بين شهر أو شهرين ينبغي عليهم بعدها مغادرة البلاد».

لقد حاول الزعيم الصهيوني تيودور هرتزل أن يحصل على فرمان من السلطان عبد الحميد الثاني للسماح لليهود بهجرة رسمية منظمة، ووسط لهذه الغاية: البابوية وإنكلترا والنمسا وألمانيا، والقوى الأمريكية، وبعض الأوساط التركية، ولما تأكد له فشل مساعيه رأى هرتزل ضرورة القضاء على الدولة العثمانية، ومما قاله: «إن القضاء على الدولة العثمانية أو تقسيمها هو الحل الوحيد لقيام الدولة اليهودية، إنَّه إذا تمّ تقسيم تركيا في المستقبل القريب، فسوف تقف الدولة الصهيونية التي تقام في فلسطين حاجزًا، أمّا إذا قبل السلطان بالمطالب والعروض اليهودية، فهذا مما يبدل سياسة الصهيونية نحوه، فنحن نستطيع أن نسند السلطان سندًا قويًّا بالمال إذا هو تخلّى لنا عن قطعة أرض لا قيمة كبيرة لها عنده» «يوميات هرتزل ١٣ نيسان ١٨٨٦م».

QaradawiBooks.com

لقد كانت الزيارة الأولى لهرتزل لإسطنبول في (١٨ حزيران ١٨٩٦م)، وقد زارها كصحافي، وليس كزعيم صهيوني، وكرّر زياراته في ما بعد، ولكن من دون جدوى، وأهمّ تعبير عن موقف الدولة والسلطان عبد الحميد الثاني من المطالب الصهيونية ما دوَّنه هرتزل في يومياته، ومذكراته بعد أن صدم من الموقف العثماني لقد دوَّن هرتزل موقف السلطان حينما ردَّ على الوسطاء بما يأتي: «لا أقدر أن أبيع ولو قدمًا واحدًا من البلاد، لأنَّها ليست لي بل لشعبي، لقد حصل شعبي على هذه الإمبراطورية بإراقة دمائهم، وقد غذّوها في ما بعد بدمائهم، وسوف نغطيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منا. لا أستطيع أبدًا أن أعطي أحدًا أيّ جزءٍ منها، ليحتفظ اليهود بملياراتهم، فإذا قسّمت الإمبراطورية، فقد يحصل اليهود على فلسطين، من دون مقابل، إنَّما لن تقسّم إلا على جثثنا، ولن أقبل بتشريحنا لأي غرض كان». «يوميات هرتزل ١٩ حزيران ١٨٩٦م»، (صـ ٣٧٨)، (الترجمة العربية صـ ٣٥).

لقد استمرّ هرتزل حتى وفاته عام (١٩٠٤م) يحاول الحصول على إذنٍ رسميٍّ بالهجرة اليهودية إلى فلسطين، وقد فشل في مساعيه جميعها، مما دعاه للتفكير قبل وفاته بضرورة إزاحة السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش حتى يتحقّق الحلم الصهيوني، وبالفعل فإن قادة الحركة الصهيونية رأوا ضرورة الارتباط مع القوى الدولية الهادفة إلى السيطرة على الدولة العثمانية وتقسيمها، ومن ثم التعاون مع القوى التركية المعارضة للسلطات الممثلة بجماعة «تركيا الفتاة» وجناحها «الاتحاد والترقي»، وهي الجمعية الطورانية المتعصّبة ضد العرب، والعاملة ضد كل ما هو عربي، لهذا كلِّه تجمّعت القوى الصهيونية والماسونية والدونمة والقوى الدولية، وبدأت اجتماعاتها المكثفة في خلايا سالونيك

QaradawiBooks.com

للتخطيط لخلع السلطان عن العرش، بعد أن تعذّر تحقيق الحلم الصهيوني وهو لا يزال على العرش.

لقد أشارت الوثائق البريطانية، والوثائق التركية إلى أنّ الحقيقة الظاهرة في تكوين «جمعية الاتحاد والترقي» أنَّها غير تركية، وغير إسلامية، فمنذ إنشائها لم يظهر بين قادتها وزعمائها عضو واحد من أصل تركي خالص، فـ «أنور» باشا مثلًا هو ابن رجل بولندي، وكان «جاويد» من يهود الدونمة، و«قارصوه» من يهود إسبانيا، وكان «طلعت» باشا بلغاريًّا من أصل غجري اعتنق الإسلام ظاهرًا، أما «أحمد رضا» فقد كان نصفه شركسيًّا والنصف الآخر مجريًّا، كما أنَّ «نسيم روسو» و«نسيم مازلياج» كانا من اليهود، ومن العناصر الفاعلة في حركة «تركيا الفتاة». التي أعدّت الثورة ضد السلطان عبد الحميد الثاني.

لقد نجحت هذه القوى مجتمعة في ثورة عام (١٩٠٨م)، وفي خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش عام (١٩٠٩م)، ودفع السلطان ثمنًا غاليًا نتيجة مواقفه المشرّفة من فلسطين ومن العرب. والدولة العثمانية بعد عام (١٩٠٩م) هي غيرها قبل عام (١٩٠٩م)، وكان أحد رموز الحكومة الجديدة ورموز الطورانية «أحمد جمال» باشا الذي عانى منه الشعب اللبناني والسوري في عامي (١٩١٥ ـ ١٩١٦م)، وهذا الرجل ليس هو سوى وليد الحركة الصهيونية والدونمة و«الاتحاد والترقي»، وهي القوى المعادية للعرب وللعروبة على السواء[1] اهـ.

وهي في الوقت نفسه معادية كل العداء للإسلام: عقيدته وشريعته ونبيّه وقرآنه وحضارته وأمتّه.

(١) جريدة النهار بتاريخ ٢٢ إبريل ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

وخلاصة هذا البحث ما قاله صديقنا البحّاثة. الدكتور حسان حتحوت: أنّ اليهود عاشوا في فلسطين فترة محدودة من الزمن، ولكن التاريخ يسجل: أنهم عندما دخلوها، لـــم يجدوها فارغة، وعندما رحلـــوا عنها لم يتركوها فارغة! لقـــد كان فيها أهلها «الفلســـطينيون المذكورون فـــي التوراة». قبل اليهود، ومع اليهود، وبعد اليهود، وما زالوا حتـــى الآن. والحق التاريخي ـ إذن ـ لا يقوم على أساس، والأجدر أن يسمى: «الزيف التاريخي»[1].

دعوى الحق الديني:

ويزعم اليهود أنّ لهم حقًّا دينيًّا في فلسطين. يقول الشيخ عبد المعز:

حدّثنا الإمام فقيد الإســـلام الســـيد محمـــد أمين الحســـيني مفتي فلسطين، ورئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين رَحِمَهُ اللَّهُ قال: كنت أردُّ زيارة للمندوب البريطاني حاكم فلســـطين، فقال لي: إنّ أمي علمت بوجودك وتودّ مقابلتـــك، فقلت له: أهلًا وســـهلًا، وجاءت العجـــوز، فكان أوّل ما قالته لي: أرجوك ألّا تقف ضد إرادة الرب، فقلت لها: يا سيدة، ومن يســـتطيع أن يقف ضد إرادة الرب؟ قالت: أنت، قلت لها: كيف؟ قالت: لأنك لا تريد أن تعطي اليهود الأرض التـــي أعطاها الله لهم، قلت: إنَّها أرضي وبيتي وكيف يعطيها الله لهم، وأنا أيـــن أذهب؟ قالت: إنَّها إرادة الله! ولما انتهت المقابلة قلت لابنها: إنّ والدتـــك طيبة متأثرة باليهود، قال: لا، بل نحن البروتستانت نؤمن بهذا، والأناجيل تبشّر به.

ولما أصدرت بريطانيا الكتاب الأبيض ســـنة (١٩٣٩م) تحدّد فيه أعداد المهاجرين اليهود إلى فلسطين ثار اليهود، وسيَّروا المظاهرات في عواصم أوروبا تهتف: الكتاب المقدس لا الكتاب الأبيض يعطينا الحق في فلسطين.

(١) انظر: بهذا ألقى الله للدكتور حسان حتحوت صـ ١٨٤، نشر مؤسسة فهد المرزوق الصحفية، الكويت.

QaradawiBooks.com

التوراة لا الكتاب الأبيض تعطينا حقّنا في فلسطين[١].

وهذا ما رأينا أثره بجلاء في مواقف الرؤساء الأمريكيين منذ عهد ترومان، وقرأناه بوضوح في مذكّرات «كارتر» الذي أعلن أنّ تأسيس إسرائيل المعاصرة تحقيق للنبوءة التوراتية! ولمسناه في سياسات ريجان وبوش وكلنتون، وهو ما يجسّد «البعد الديني المسيحي»[٢] في الصراع الإسرائيلي مع العرب.

وقد أثَّرت الأدبيّات اليهودية في تكوين العقيدة المسيحية، ولا سيما لدى البروتستانت، وقد دارت هذه الأدبيات حول محاور ثلاثة:

الأول: أنّ اليهود هم شعب الله المختار، والأمة المفضلة على سائر الأمم.

الثاني: أنّ ثَمَّة ميثاقًا إلهيًّا ربط اليهود بالأرض المقدسة في فلسطين، وأنّ هذا الميثاق الذي أعطاه الله لإبراهيم عليه السلام: ميثاق سرمدي حتى قيام الساعة.

الثالث: هو ربط الإيمان المسيحي بعودة السيد المسيح بقيام دولة صهيونية: أي بإعادة تجميع اليهود في فلسطين، حتى يظهر المسيح فيهم.

هذه المحاور الثلاثة هي التي تؤلِّف اليوم ـ كما ألَّفت في الماضي ـ قاعدة «الصهيونية المسيحية» التي تربط الدين بالقومية، والتي تسخر الاعتقاد الديني المسيحي لتحقيق مكاسب يهودية[٣].

---

(١) اقترب الوعد الحق صـ ١٦.

(٢) وقد ألّف في ذلك د. يوسف الحسن كتابه: البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني، نشر مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

(٣) انظر: الأصولية الإنجيلية لمحمد السماك صـ ٣٦، ٣٧.

QaradawiBooks.com

تعتقد الصهيونية المسيحية أنّ ثلاث إشـــارات يجب أن تسبق عودة المسيح:

١ ـ الإشارة الأولى هي: قيام إسرائيل، وقد قامت سنة (١٩٤٨م).

٢ ـ والإشارة الثانية هي: احتلال مدينة القدس، وقد احتلت سنة (١٩٦٧م).

٣ ـ والإشـــارة الثالثة هي: إعـــادة بناء هيكل ســـليمان على أنقاض المسجد الأقصى. وهذا ما تعمل له إســـرائيل منذ زمن، وما تقوم به من حفريات تحت بنيان المســـجد الأقصى، بحجة البحث عن آثار يهودية مطموسة، وفي مقدمتها الهيكل المزعوم.

ومن المعروف أن الهيكل قـــد دمّر من قديم، ورغـــم بحث اليهود وحفرياتهم لم يعثروا له علـــى أثر، وأعتقد أن تواصـــل هذه الحفريات يعرض المسجد العظيم لخطر الانهيار، كما أعتقد أنّ اليهود يعرفون متى سيحدث ذلك، وهم الذين يحددون ذلك اليوم المشؤوم لا قدر الله.

وقفة متأنيّة لمناقشة الدعوى اليهودية:

وأحب أن أقف وقفـــة متأنية أمام ما زعمه كتبـــة «العهد القديم» من نصوص تقول: إنّ الله وعد إبراهيم عليه السلام بأن يعطي لنسله أرض فلسطين، وكذلك وعد ابنه إسحاق، ووعد حفيده يعقوب الذي سمَّوه «إسرائيل». وعلى هذا الأســـاس ســـمّوا هذه الأرض: أرض الميعاد. في هذه الوقفة نسأل عدة أسئلة:

من هم نسل إبراهيم؟

أولًا: ما المقصود بنســـل إبراهيم عليه السلام: أهم أبنـــاؤه من صلبه أم هم أبناؤه الروحيّون؟ أعني: الذين يتبعـــون ملته، وينهجون نهجه، ويهتدون

QaradawiBooks.com

بهداه؟ أما أبناؤه وأحفاده من صلبه، فهم ـ مثل أبيهم إبراهيم ـ لم يملكوا من هذه الأرض شبرًا واحدًا. فما المقصود بالأبناء إذن؟

إن المنطق الملائم للنبوة وللخُلَّة التي تميَّز بها إبراهيم «خليل الله»: أن يكون أولى الناس به من آمن به واتبع هداه، وهذا ما ذكره القرآن حين قال: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [آل عمران: ٦٨].

وقال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

بيّنت الآية أنّ الإمامة لا تنتقل بالوراثة، وأنّ الظالمين لا يستحقون عهد الله؛ لأن ما عند الله ينال بالأعمال لا بالأنساب كما قال رسول الإسلام: «**من بطَّأ به عملُه، لم يُسْرع به نسبه**»[(١)].

وقد برِئ إبراهيم من أبيه لما تبيَّن له أنَّه عدو لله، كما بَرِئ من قومه لما كفروا بالله، كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤].

أليس إسماعيل من نسل إبراهيم؟!

ثانيًا: لو فرضنا أن المراد بنسل إبراهيم أولاده من صلبه، فلماذا حرم أبناء إسماعيل بكره وولده الأول؟ ولماذا انحاز الله الحَكَم العدل إلى بني إسرائيل ضد بني إسماعيل؟!

(١) رواه مسلم في الذكر (٢٦٩٩)، وأحمد (٧٤٢٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

لقد ذكرت التوراة في سفر التكوين أنّ «إسماعيل» ابنُ إبراهيم في أكثر من اثني عشر موضعًا.

إلا أنّ الإسرائيليين يقولون: إن إسماعيل ابن الجارية هاجر، وإسحاق ابن الحرَّة سارة، ولكن أليس كلاهما كان ابن إبراهيم؟ وكلاهما كان نبيًّا رسولًا من عند الله؟ وهل يحرم أولاد الرجل ميراثهم من أبيهم بسبب أمهاتهم؟

وهنا سؤال آخر مهم ـ سأله لهم الدكتور حسان حتحوت ـ عن أبناء إسرائيل (يعقوب) ـ الاثني عشر، فقد ذكرت التوراة أنّ إسرائيل تزوج ابنتي خالته: راحيل وليئة، وجاريتيهما: زلبا وبلحا، وقد ولدت الجاريتان ستة من أبناء إسرائيل، فلم اعتبرتموهم من بني إسرائيل، ولم تنقصوا من بُنُوَّتهم مثقال ذرة؟ وهنا لا يجدون جوابًا.

هذا، وقد استمر التسرِّي بالجواري في بني إسرائيل، فقد ذكرت أسفار العهد القديم أنّ داود كان له مائة زوجة ومائتان من الجواري، وأما ابنه سليمان، فكان له ثلاثمائة زوجة وسبعمائة جارية، ولا نزاع في أنّ هؤلاء الجواري أنجبن أولادًا لداود وسليمان، ولا ريب أن أولاد هؤلاء السراري من بني إسرائيل، فما يقول اليهود في ذلك أيضًا؟

أين عدل الله؟!

ثالثًا: كيف يعطي الله الحكم العدل الذي حرَّم الظلم على نفسه، وحرَّمه على عباده؛ أرضًا يملكها أصحابها ملكًا شرعيًّا مستقرًّا لفئة من الناس، هم دخلاء على هذه الأرض، غرباء عنها، وأين عدل الله تعالى وقسطه، وهو يحب المقسطين، ولا يحب الظالمين؟

QaradawiBooks.com

وعد مشروط لم يفِ اليهود بشرطه:

رابعًا: هل هذا الوعد ـ إن صح ـ بمنح هذه الأرض: وعد مطلق أو وعد مشروط؟ وإذا كان مشروطًا فهل تحققت شروطه؟ الذي يقرأ «الكتاب المقدس» عند النصارى ـ وخصوصًا أسفار العهد القديم، يجد أنّ وعد الله لبني إسرائيل إنَّما هو وعد مشروط، بأن ينفذوا التعاليم، ويحفظوا العهد، ويصونوا أوامر الرب ونواهيه، حتى يكونوا أهلًا لنصر الله وتمكينه، وهذا هو المعقول والملائم للعدالة الإلهية والحكمة الربانية، فإنّ الله لا يعامل الناس بأنسابهم، بل بأعمالهم.

اليهود نقضوا عهد الرب:

ينقل لنا محمد أبو فارس هذه النصوص:

التثنية/٦: ١٨: «احفظوا وصايا الربّ إلهكم، وشهاداته وفرائضه التي أوصاكم بها».

التثنية/٦: ١٨: «اعمل الصالح والحسن في عيني الرب لكي يكون لك خير، وتدخل وتمتلك الأرض الجيدة التي خلف الرب لآبائك».

التثنية/٧: ١١: «فاحفظوا الوصايا والفرائض والأحكام التي أنا أوصيك اليوم لتعلّمها».

هذه النصوص الثلاثة من سفر التثنية (العهد القديم) تشرح الشروط وتفصل الأسس التي جعلها الرب (رب بني إسرائيل) جوهر «العهد».

لكن... هل أدَّى... والتزم... وحافظ الطرف الثاني على ما أمره الرب به؟

الكتاب المقدس ـ الذي هو حسب اعتقاد أتباعه المسيحيين كتاب نصوصه ربانية، واتِّباعه طاعة لأوامر الرب ـ يسجل:

أولًا: سفر الخروج/٣٢: ٢ ـ ٣ ـ ٤: «فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون، فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل وصنعه عجلًا مسبوكًا[1]، فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر».

لقد عبد بنو إسرائيل أصنامًا من دون الله الواحد الذي قام «العهد» بينه وبينهم، وهكذا ارتدّوا إلى الوثنية وخرقوا ـ من جانبهم ـ بقيادة هارون (شقيق النبي موسى)! شروط وأسّس «العهد».

ثانيًا: النبي إيلياه (إلياس) بعد ذلك بزمن طويل يخاطب الرب بهذه الكلمات:

الملوك الأول/٩: ١٠: «... لأنّ بني إسرائيل قد تركوا عهدك، ونقضوا مذابحك، وقتلوا أنبياءك بالسيف... وهم يطلبون نفسي ليأخذوها».

ثالثًا: النبي موسى «ذاته» ـ أي قبل النبي إيلياه ـ كان قد قال: التثنية (٩: ٢٣ ـ ٢٤): «يقول موسى: عصيتم قولَ الربِّ إلهكم، ولم تصدِّقوه، ولم تسمعوا لقوله، قد كنتم تعصُون الربَّ منذ عرفتكم».

رابعًا: الرب نفسه يقول ليشوع:

يشوع/٧: ١١: «الربّ يقول: قد أخطأ إسرائيل بل تعدّوا عهدي الذي أمرتهم به، بل أخذوا من الحرام، بل سرقوا، بل أنكروا...».

ملاحظة: «أخطأ إسرائيل» في هذا النص تعني: ارتكبوا خطيئة.

---

(١) في القرآن الكريم أن الذي صنع العجل الذهبي لبني إسرائيل هو السامريّ، وأن هارون عليه السلام، أنكر عليهم هذا العمل، ولكنهم لم يسمعوا له. الآيات (٨٥ ـ ٩٨) من سورة طه، وفيها: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ۝ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٩٠، ٩١].

QaradawiBooks.com

خامسًا: خاطب نحميا بني إسرائيل بهذا القول:

نحميا/٣: ٢٠: «حقًّا إنَّه كما تخون المرأة قرينها هكذا ختنموني يا بيت إسرائيل، يقول الرب».

سادسًا: نورد مرة أخرى مخاطبة وجّهها موسى إلى بني إسرائيل:

عدد/٣٢: ١٤: «يقول موسى لبني إسرائيل: فهو ذا أنتم قمتم عوضًا عن آبائكم تربية أناس خطأة لكي تزيدوا أيضًا حنق (غضب) الرب على إسرائيل».

سابعًا: ميخا/٣: ٩ ـ ١٠ ـ ١١: «اسمعوا هذا يا رؤساء بيت يعقوب، وقضاة بيت إسرائيل، الذين يكرهون الحق، ويعوجون كل مستقيم، الذين يبنون صهيون بالدماء وأورشليم بالظلم، رؤساؤها يقضون بالرشوة، وكهنتها يعلمون بالأجرة، وأنبياؤها يعرفون بالفضة...».

نكتفي بهذه الأمثلة السبعة من أسفار العهد القديم، حيث إنَّها تكشف مقدار التزام وطاعة بني إسرائيل لشروط وبنود «العهد» الذي يدعون قيامه بين الرب وإبراهيم وإسحاق من بعده ويعقوب من بعدهما.

أيضًا في العهد الجديد من الكتاب المقدس يوجد نصوص تصف مسلكيات القوم مع «العهد المزعوم».

أولًا: يوجه يسوع المسيح للإسرائيليين هذا الخطاب:

متّى/٢١: ٣١: ٤٣: «قال لهم يسوع: الحقّ أقول لكم أنّ العشارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله، لأنّ يوحنا جاءكم في طريق الحق فلم تؤمنوا، لذلك أقول لكم: إنّ ملكوت الله ينزع منكم، ويعطى لأمة تعمل آثاره».

QaradawiBooks.com

ثانيًا: يوحنا المعمدان هكذا يخاطب بني إسرائيل:

متّى/٧: ٣: «قال لهم... يا أولاد الأفاعي».

ثالثًا: يسوع نفسه يقول لبني إسرائيل:

متّى/٣٢: ١٣ ـ ٢٣ ـ ٣٣: «فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء، أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم؟».

هكذا... واستنادًا على نصوصٍ توراتيةٍ من الكتاب المقدس أوردناها حرفيًّا في هذا الفصل، يتضح أنَّه ومنذ أيام موسى ويوشع بعده، ثم إيلياه وأرميا وعزرا ونحميا وميخا ويوحنا المعمدان، وأخيرًا في زمن يسوع المسيح، خرقت ـ من جانب واحد ـ شروط وأسسّ وبنود «العهد» الذي أبرم بين الله وإبراهيم، خرقت مرارًا ومرارًا ـ وفي عصور كثيرة، وعليه يبرز التساؤل:

وهل ـ بالرغم من هذا الاستهتار«بعهد الرب»، وخرقه ـ لا تزال قائمة حقوق توراتية في القرن العشرين بعد المسيح لأحد أو لجماعة في بلدان ذات سيادة واستقلال مثل فلسطين ولبنان وسوريا ومصر والأردن؟ لجماعات مثل «الفلاشا» الأثيوبيين، أو لمواطنين من روسيا وأوكرانيا، أو لأمريكيين وأرجنتينيين «مثل الذين يعيشون في الكيبوتز» باسم «عهد» خرقه بنو إسرائيل منذ عشرات القرون ـ مرّات ومرّات ـ في حقبات مختلفة من التاريخ؟ هل في مثل هذه المطالبات بحقوق... ذرّة من إقناع ومنطق وإنصاف؟[1].

(١) انظر: هل لبني إسرائيل حقوق توراتية في فلسطين لمحمد أحمد أبو فارس صـ ٣١، ٣٢.

QaradawiBooks.com

منطق القرآن: الأرض يرثها الصالحون:

إنّ منطق القرآن: أنّ الله تعالى يعطي الأرض ويورثها للصالحين من عباده، وليس لعرق من العروق، وجنس من الأجناس، فالله تعالى لا يعامل الناس بعروقهم وأنسابهم، بل بإيمانهم وأعمالهم وتقواهم لله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

فالصالحون هم الذين يرثون الأرض من أهلها الذين طغوا وظلموا، وكذبوا رسل الله وآذوهم وصدوا عن سبيل الله.

كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ۝ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٣، ١٤].

ولقد كانت الأمة الإسلامية هي الأمّة المؤهّلة لوراثة أرض النبوات، وتحقيق وعد الله لإبراهيم في أن يعطي هذه الأرض لنسله ـ إن صحت هذه النبوءة ـ فهاهم أبناء إسماعيل بن إبراهيم، بل ها هم أبناء إبراهيم الروحيّون، الذين هم أولى الناس به، وأتبعهم لِمِلَّته، قد ورثوا الأرض وقاموا بحقها، وأقاموا فيها العدل والإحسان، أربعة عشر قرنًا من الزمان. وهم أصحاب الأرض وأهلها، وهم باقون فيها إن شاء الله حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ووجودهم في هذه الأرض هو الوجود الشرعي الوحيد الذي يقرّه الله ورسله والمؤمنون، وكلّ المنصفين من عباد الله. وأمّا وجود الصهاينة، فهو وجود دخيل غاصب معتد أثيم، يستحيل أن يدوم، فهو حتمًا إلى زوال، وما ربك بغافل عما يعلمون ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

هل عرفنا عدوّنا؟

من الواجب على كل من يحارب عدوًّا: أن يعرفه على حقيقته معرفة محيطة ومستوعبة، بحيث يعرف جذوره وأصوله، ومقومات شخصيته، وأخلاقه وصفاته الأساسية، ومفاهيمه وقيمه وأحلامه وطموحاته، وكيف يفكر، وكيف يخطّط، وكيف ينفّذ، وبمن يستعين من الناس، وبماذا يستعين من الوسائل، وما يجوز عنده وما لا يجوز، وما الذي يجمع شعبه وما الذي يفرقه؟ وما الذي يحرّكه وما الذي يسكنه؟ وماذا يملك من أسباب ذاتية، وماذا يستطيع أن يجلب من أسباب ومعونات خارجية... إلى غير ذلك مما يكشف العدو، ويعرف بحقيقته على ما هي عليه من قوّة أو ضعف.

ونحن نعلم أنّ الدول في عصرنا، ومجالس أمنها القومي وأجهزة مخابراتها ومؤسساتها الاستعلامية والأمنية والعسكرية المختلفة، تعمل جاهدة على أن تعرف كل ما تستطيع عن عدوها: جغرافيًّا وتاريخيًّا، وماديًّا وبشريًّا، اقتصاديًّا وسياسيًّا، اجتماعيًّا وثقافيًّا، فكريًّا وروحيًّا، حتى تبني استراتيجيتها على أساس علمي صحيح مستمد من الواقع.

كما نعلم أنّ إسرائيل ـ ومن وراءها من القوى الغربية المساندة لها وبخاصة الأمريكان ـ قد كشفونا حتى النخاع، وأمسوا يعرفون عنا أكثر

QaradawiBooks.com

مما نعرف عن أنفسنا في كثير من الأحيان. وعندهم من الوسائل والآليات ما يساعدهم على ذلك بيسر... ولا سيما أنّ كل ما عند هذه القوى الجبارة من معلومات متاح ـ بلا ريب ـ لإسرائيل وأجهزة إسرائيل.

فهل عرفنا نحن عدونا، كما يوجبه علينا ديننا ومصلحتنا ووجودنا نفسه؟!

مصادر أساسية لمعرفة عدونا:

الحقيقة أنّنا لم نحسن التعامل مع عدوّنا، كما ينبغي، وكما تفرضه علينا طبيعة الصراع المرير والمديد، مع هذا العدو العتيد.

أما أنّنا لم نحسن التعامل مع عدوّنا، فلأنّنا لم نعرف مواطن القوة عنده، لنتحاشاها، أو نقاومها بمثلها أو أشد منها إن استطعنا، ولم نعرف نقاط الضعف فيه لنهاجمه منها، وذلك لأنّنا لم نحاول بصدق أن نتعرّف على شخصيته، ونسبر أغوارها، ونعرف خصائصها ومقوماتها، ونظرتها إلى الأديان وإلى القيم وإلى الناس، ولم ندرس المؤثرات الحقيقية على هذه الشخصية، وبذلك نعرف كيف تفكر، وكيف تخطّط وكيف تنفّذ، لم نعرف ماذا تريد، وكيف تصل إلى ما تريد. وربما تبين لنا بعض ما كان خافيًا من قبل، ولكن لم نصل إلى ما كان يجب الوصول إليه من معرفة عدونا.

وكان في إمكاننا بسهولة الرجوع إلى عدد من المصادر الأساسية الميسورة لنا لتعرفنا بحقيقة عدونا. أما هذه المصادر فهي:

القرآن الكريم:

المصدر الأول: القرآن الكريم: القرآن الكريم الذي أفرد للحديث عن بني إسرائيل مساحة واسعة بين فيها خصالهم، وكشف اللثام عن سماتهم

QaradawiBooks.com

النفسية والخلقية التي توارثوها خلفًا عن سلف، حتى أصبحت كأنها طبيعة ثابتة. نجد ذلك واضحًا في سورة البقرة بتفصيل، وفي سورة آل عمران، والنساء، والمائدة، من السور المدنية، وفي سورة الأعراف، وسورة الإسراء ـ وتسمّى: سورة بني إسرائيل ـ وغيرها من السور المكية.

وصفهم القرآن الكريم بالقسوة والجبن في الوقت ذاته وبالحسد والبغي، وصفهم بنكث العهود والغدر، والتطاول حتى على رسل الله، بل على الله نفسه، وعدم الخضوع إلا للقوة، واستباحتهم لأموال من عداهم وحرماته.

اقرأ مِثْل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤].

وقد ظهرت هذه القسوة في دير ياسين وفي صبرا وشاتيلا وغيرها.

وقوله سبحانه: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣].

﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٥٦].

والواقع يصدّق القرآن بما نقضوه من الهدنات والاتفاقيات.

وقوله: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤].

فهم لا يقاتلون مواجهة حرصًا على حياتهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ [البقرة: ٩٦]. ولكن يختبئون وراء الحصون والحواجز... وهم في خلاف وتناقض فيما بينهم، ولكنهم

QaradawiBooks.com

قادرون على إخفائه، بحيث يحسبهم من ينظر إليهم من الخارج صفًّا واحدًا، رغم أن قلوبهم شتى، ووجهاتهم متباينة.

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ١٨١].

فهذا يدل على تبجّحهم وتطاولهم وقلة أدبهم، حتى مع الله ﷻ.

وقال سبحانه: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢].

فهذا يدلّ على أنّ الذلة مضروبة عليهم أينما كانوا إلا إذا اعتصموا بحبل من الله، فآمنوا حقًّا، أو بحبل من الناس يحمونهم كالأمريكان في عصرنا. وذلك جزاء كفرهم وقتلهم أنبياء الله. واستمرارهم على العصيان والعدوان.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

وهذه هي مقولتهم مع العرب ومع سائر الأمم: أنّه لا حرج عليهم إذا أكلوا أموالهم، ونهبوا ديارهم، واستحلّوا حرماتهم، فليس عليهم في الأميين سبيل!

وصفهم القرآن بالغرور والزهو حيث قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾. فردّ عليهم القرآن بقوله: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة: ١٨]، ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾. ورد عليهم القرآن دعواهم بقوله: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٠].

QaradawiBooks.com

ووصفهم القرآن بأنهم فئة لا تخضع إلا لمنطق القوة، حتى أمر الله تعالى ونهيه لا يدينون له ما لم تكن فوقهم قوة مادية قاهرة تجبرهم على الطاعة، وفي ذلك يقول القرآن: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٧١].

وحديث القرآن عن القوم حديث طويل، ينبغي أن يراجع في مظانّه من كتب التفسير القديم والحديث، وقد ألّفت في ذلك كتب خاصة[١].

ولقد قال بعض المفسرين قديمًا: كاد القرآن أن يكون لموسى وبني إسرائيل![٢] وذلك لكثرة ما ردد قصتهم.

المصدر الثاني: كتبهم المقدسة عندهم:

الثاني: كتبهم أنفسهم، المقدسة عندهم، «التوراة» التي وصفتهم بأنهم الشعب «الصلب الرقبة»، وأفهمتهم أنهم «شعب الله المختار»، وأنّ من حقهم إذا دخلوا قرية أن يستبيحوها.

وأسفار الأنبياء: حزقيال وأشعيا وغيرها، التي شحنتهم، وهيأت عقولهم وأنفسهم للعودة إلى «الأرض» التي هي أحد «الأقانيم الثلاثة» عندهم: الإله والشعب والأرض!

(١) من ذلك كتاب: بنو إسرائيل في الكتاب والسنة للدكتور محمد سيد طنطاوي، نشر دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط١، ١٩٨٥م، واليهود في القرآن لعفيف طبارة، نشر دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٦٦م.

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١٩٩/١)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

QaradawiBooks.com

والتلمود الذي جعل منهم أمة فوق خلق الله جميعًا، تستعلي عليهم، وتستحلُّ دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وتستخدم في ذلك كل وسيلة مهما تكن دناءتها، فهي شريفة ومشروعة في سبيل أغراضهم.

وكتبهم حافلة بأوصافهم والإنكار عليهم، وعلى مواقفهم وأخلاقهم. ومن قرأها وجد فيها العجب، من تمرّدهم على الله وعلى رسله.

اقرأ مثل هذه النصوص:

تقول التوراة (سفر التثنية: ٣٢، ٣٣) في هؤلاء القوم: «جيل أعوج ملتوٍ. الرب تكافئون بهذا يا شعبًا غبيًّا غير حكيم؟ (...) انظر ماذا تكون آخرتهم؟ إنهم جيل متقلِّب. أولاد لا أمانة فيهم».

«إنهم أمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم».

ويقول موسى نبيّهم لهم، وقد فاض به الكيل من سوء ما صنعوا معه: «لأنّي أنا عارف تمردكم، ورقابكم الصلبة. هو ذا وأنا بعد حي معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب، فكم بالحري بعد موتي!» وغيرها كثير وكثير.

المصدر الثالث: التاريخ:

وهو مخزن العبر، ومعلم الأجيال، وقد علّمنا التاريخ أنّ اليهود يعيشون بين الشعوب عيشة الطفيليات في الأجسام، تتغذّى منها ولا تغذيها، وتأخذ منها ولا تعطيها، وأنَّها تبني نفسها على أنقاض غيرها. فهم أنانيون لا يعرفون إلا مصلحتهم، ولا يؤمنون إلا بأنفسهم، ولا يحكمون إلا منافعهم، أما القيم والمبادئ والمثل العليا وغيرها مما يتشدّق به الناس، فلا تُحترم عندهم إلا إذا كانت أداة للوصول إلى غاياتهم. وإلا فهي تحت الأقدام.

QaradawiBooks.com

ومن قرأ تاريخ اليهود ـ أو بنى إسرائيل كما يسمُّونهم ـ من أسفارهم المقدسة عندهم ذاتها، تبيَّنت له هذه الحقيقة جلية جلاء الصبح لذي عينين، كما أبرز ذلك الأستاذ محمد عزت دروزة في كتابه عنهم «تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم».

ومن قرأ تاريخهم معنا وتاريخنا معهم، عرف ذلك جيدًا، وعرف معه أنهم وراء كل فتنة، ومصدر كل بلية، حتى قال من قال: فتش عن اليهود!

كتابات المعاصرين عنهم:

المصدر الرابع: كتابات المعاصرين عن اليهود وأطماعهم، وعن الصهيونية وأخطارها، وعن شخصية الإنسان اليهودي، وما تنطوي عليه بين جوانحها.

ولا أقصد كتابات العرب والمسلمين عنهم فحسب، فقد يقال: إنَّها كتابة خصم عن خصمه، وعدوّ عن عدوه. بل أقصد كتابات الغربيين عنهم، وهم الذين هيّؤوا المناخ لدولتهم حتى ولدت، وغذّوها حتى شبّت، وأمدّوها بكل أسباب القوة حتى طغت وتحدّت وتعدّت.

وآخر من كتب عنهم المفكر الفرنسي الكبير الذي هداه الله، فانتقل من النصرانية والماركسية إلى الإسلام، روجيه ـ أو رجاء ـ جارودي، في كتابه «أحلام الصهيونية وأضاليلها» الذي نشرته في مقالات متتابعة عدة صحف عربية.

صحيح أنَّه نشر كتابه بعد أن أسلم، ولكنَّه كتبه قبل أن يسلم، وهي كتابة تعكس قراءة ومعايشة، ومعاناة طويلة لأفكار القوم، ومشاعرهم وأحلامهم وطموحاتهم وأخلاقهم. وكتب بعد ذلك كتابه الشهير

QaradawiBooks.com

«الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل» الذي هيَّج عليه الصهاينة في أنحاء العالم، وانتهوا به إلى أن يحاكم في بلده فرنسا، وأن يُحكم عليه.

وليحذر في الكتابات المعاصرة من أمر على غاية من الأهمية، نقع نحن في شباكه دون أن ندري. ألا وهو المبالغة في إبراز قوة اليهود ومكرهم، كما تبرزه كتب مثل «الدنيا لعبة إسرائيل» و«وأحجار على رقعة الشطرنج» وغيرهما. فإن هذا يؤدي في النهاية إلى لون من الجبرية السياسية، يدعو إلى قبول الأمر الواقع، والقضاء النافذ، والاستسلام للقوة الخفية التي تحكم العالم القوي، فكيف بنا نحن الضعفاء؟!

الواقع المعيش لليهود:

المصدر الخامس: هو الواقع، واقعنا المعيش معهم، وهو كتاب لم تتم فصوله بعد، وهم يضيفون إليه كل حين فقرة أو فصلًا أو بابًا أو جزءًا. ونحن مع هذا به جاهلون وعنه غافلون.

واجهنا القوم في عدة حروب، وعقدنا معهم هدنات واتفاقيات، وحضرنا معهم مفاوضات، وتخاطبنا معهم بالكلام والسلاح.

وقد عرفنا هذا الواقع أن القوم لا يعترفون بقوة المنطق، بل بمنطق القوة، فهم بالقوة أخذوا الأرض من أصحابها، وبالقوّة حقّقوا حلم الوطن القومي، وبالقوّة أقاموا فيه دولتهم، وبالقوّة أضافوا إلى هذه الدولة أراضي جديدة: الجولان والقدس والضفة الغربية.

وبالقوة غزوا لبنان من قبل على مرأى ومسمع من العرب والمسلمين والعالم، وفرضوا إرادتهم على المجتمع العربي والدولي بإخراج المقاومة الفلسطينية من بيروت فخرجت، ولم يكتفوا بذلك حتى عملوا

QaradawiBooks.com

على ذبح الفلسطينيين العزل في مخيمات اللاجئين، فذبحوا جهارًا نهارًا، وما زالوا يعدون لمعارك أو مذابح أخر!

وآخر ما حملته الأنباء، وأنا أكتب هذه السطور (١٩/١٠/١٩٨٢م)[١] ما قاله مناحم بيجين رئيس وزرائهم في خطاب له بمناسبة افتتاح الدورة الشتوية للكنيست الإسرائيلي، فقد أعلن أنَّه «لا حاجة مطلقًا لمبادرات سلام جديدة في الشرق الأوسط، ما دام لا يوجد خطر أيّة مجابهة بين إسرائيل وجيرانها العرب خلال المستقبل المنظور».

وأضاف: «ولذلك، فإنّ السؤال المطروح هو: لماذا نهدم الهيكل الحالي للسلام؟ ولماذا نخلق شروطًا جديدة يمكن أن تؤدي إلى تجدد الحروب وإراقة الدماء»!

ومعنى هذا بصراحة: أن العجز العربي عن شنّ أي حرب هو وحده الذي يضمن سلام إسرائيل. ومعنى هذا كذلك: أنّ القوة في نظر بيجين ومؤسسته العسكرية هي الأصل، وهي الفيصل وهي الحكم. «تكلم السيف، فاسكت أيها القلم!».

وبيجين الواقعي لم ينس أن يقيد كلامه بقوله: «خلال المستقبل المنظور» يعني: ما لم تحدث متغيرات من حوله غير محسوبة ولا متوقعة، كأن يصحو النائمون، أو يجتمع المتفرقون، أو يخطط المرتجلون، أو يَقْدُم المترددون ويعمل القاعدون!

وواقعنا المعيش مع عدونا يعلمنا أنّ العنصر الديني له أكبر الأثر في تكوين شخصيته، وفي تحديد أحلامه وطموحاته، وفي دفعه إلى بذل المال ـ برغم ما عرف عن اليهود من شح به وحرص عليه ـ وفي

(١) بعض أجزاء هذه الرسالة كتب منذ بضعة عشر عامًا.

QaradawiBooks.com

تحميسه للهجرة من وطن طال مقامه فيه، وارتبطت مصالحه به، وفي حفزه للمغامرة في أعمال عسكرية قبل قيام الدولة وبعدها، برغم ما عرف عن الإنسان اليهودي من جبن وحرص على حياة.

إنهم اختاروا فلسطين وطنًا لهم بناء على أحلام ونبوءات دينية يؤمنون بها، فهي في نظرهم«أرض الميعاد». إنهم يستقون أفكارهم وآمالهم من تعاليم توراتية تلمودية.

وقد بلغ من عنايتهم بالعنصر الديني في قضيتهم: أنهم أثروا في الغرب المسيحي، وأقنعوه بأنهم يلتمسون حقًّا قرّره لهم الدين، وبشّرتهم به التوراة التي يؤمن بها المسيحيون، وأنّ من لم يساعدهم في تحقيق أمانيهم القومية يكون متنكرًا للتوراة، جاحدًا بتعاليم الأنبياء!

ولعلّ أقرب مثل يصدق هذا ما نشره الرئيس الأمريكي السابق «جيمي كارتير» في مذكراته التي نشرت ـ منذ سنوات ـ حول اتفاقيات كامب ديفيد.

فهو يتحدث عن أول زيارة له إلى إسرائيل (مايو/١٩٧٣م) وكيف أعطته فرصة «لتعلم المزيد عن «أرض الإنجيل» التي درسنا عنها منذ أيام طفولتنا المبكرة» كما قال:

«وظللت ثلاثة أيام أبدأ من قبل الفجر تجوالي في شوارع القدس القديمة، وأملأ فراغي كل يوم وليلة بزيارات رائعة للأماكن المقدّسة التي شهدت التاريخ القديم، وللأماكن التي ما يزال يُصنَع التاريخ فيها».

«تركت هذه الزيارة لإسرائيل انطباعًا كبيرًا عليَّ، فعندما بدأت أعدّ حملتي الانتخابية لرئاسة الولايات المتحدة ـ فيما بعد ـ واصلت دراستي للتاريخ المعقّد لمنطقة الشرق الأوسط، وعندما أعلنت ترشيحي للرئاسة خصصت بالذكر تأييدي لالتزام الولايات المتحدة بأمن إسرائيل!

QaradawiBooks.com

ويقول: «كانت الأخلاق اليهودية النصرانية ودراسة «التوراة» أواصر بين اليهود والنصارى، وقد ظلّت هذه الأواصر جزءًا من حياتي. كذلك قد كنت أعتقد اعتقادًا راسخًا بأنّ اليهود الذين لم تقض عليهم جائحة النازية يستحقون أن يكون لهم وطن خاص، كما أنَّ لهم الحق في أن يعيشوا في سلام بين جيرانهم، واعتبرت أن هذا الوطن القومي لليهود يتماشى مع تعاليم «التوراة»!

ولذا، فإنَّه أمر شرعه الله!! وقد جعلت اعتقاداتي الخلُقية والدينية هذه التزامي بأمن إسرائيل التزامًا لا يتزعزع»!![1].

ولقد نشرت الصحف منذ سنوات تصريحًا للجنرال الإسرائيلي المعروف موشي ديان يبرّر به ضم القدس إلى إسرائيل وإنشاء مستوطنات جديدة فيقول: «إن على الذين يعارضون هذه السياسية مراجعة موقفهم من الإنجيل والتوراة!».

وقد أثّرت هذه الدعاية في كثيرين في مختلف القارات ممن يعتنقون النصرانية، حتى نقل الأستاذ كامل الشريف في كتابه «المغامرة الإسرائيلية في إفريقيا» عن زعيم سياسي نيجيري في كتاب له عن إسرائيل قال فيه:

«إنّ إسرائيل ليست اسمًا جديدًا في تاريخ العالم. فقد علمت في مدرسة الأحد في قريتي: أنّ شعب إسرائيل هو شعب الله المختار»!

ولقد بلغ من تركيز عدونا على الجانب الديني أنَّه حاول أن يستغل ديننا ذاته لتأييد قضيته، حتى إنهم بعد حرب سبع وستين كانوا يرفعون أمام بعض ضباطنا وجنودنا لافتات كتب عليها قوله تعالى في القرآن: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

(١) الترجمة لجريدة الشرق الأوسط، ٤ أكتوبر ١٩٨٢م.

QaradawiBooks.com

وأحيانًا قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

ومن عجائب ما سمعناه وقرأناه أن مناحيم بيجين حينما خطب ـ معقِّبًا على خطاب الرئيس: «أنور السادات» في الكنيست الإسرائيلي ـ ليؤكد حقّ اليهود في إقامة وطن في فلسطين، كان مما قاله: «إنّ حق إسرائيل في فلسطين حقّ أبديّ تاريخيّ تشهد له الكتب، ومنها القرآن نفسه».

واستدلّ هنا بالآية الكريمة التي جاءت في سورة المائدة [آية ٢١] على لسان موسى عليه السلام: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾.

وقال: «إنّ الله فرض لنا الأرض المقدسة دون سائر الخلق، فلا يجوز لأحد دينيًّا أن ينازعنا فيها»!!

والآية تعني: أنَّه كتب لهم دخولها، أي قدره سبحانه، وقد دخلوها بالفعل وأنفذ الله قدره، بعد ما ضرب عليهم التيه أربعين سنة جزاء نكوصهم، وقولهم لنبيهم ومنقذهم في وقاحة متناهية: ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤].

ولا تعني الآية أنّ الله كتب لهم البقاء الدائم فيها، وإلا لتناقض هذا مع الواقع، فقد أخرجوا منها منذ ألفي سنة!!

كتابات اليهود عن أنفسهم:

المصدر السادس: ما يكتبه اليهود اليوم عن أنفسهم: عن شخصية اليهودي، عن هويته وتكوينه، عن انتمائه وولائه، عن طموحاته وأحلامه. عن دوافعه وغاياته.

QaradawiBooks.com

وحسبي أن أسجِّل هنا بعض مقتطفات من كتاب صدر حديثًا في «الكويت» عن «الأيديولوجية الصهيونية» اعتمد مؤلفه على كتابات اليهود ـ من مختلف الاتجاهات الدينية والعلمانية ـ عن أنفسهم، وتفسيراتهم لكتبهم، ونبوءات أنبيائهم، وتاريخهم البائد، وواقعهم القائم، وتطلّعاتهم الجامحة، عن «الأقانيم الثلاثة» التي تتكوّن منها أيديولوجيتهم: الشعب... التوراة... الأرض.

يقول المؤلف: من المعروف أنّ التيار الحلولي في اليهودية القديمة عبَّر عن نفسه في إدراك العلاقة بين «اليهودي والأرض والله». وإذا كان تاريخ اليهود هو حجر الزاوية في تاريخ العالم، فالأرض المقدسة هي مركز الدنيا، والمعادل الجغرافي للتصور اليهودي للتاريخ.

وسنورد فيما يلي بعض الاقتباسات من كتابات بعض الصهاينة، لنبيّن أنّ بنية الحلولية اليهودية التقليدية هي البنية الكامنة الواضحة في موقف الصهاينة من الأرض، وسنكتفي بالحد الأدنى من التعليق:

«تظهر الحلولية القديمة، بشكل حاد وكامل، في كلمات الحاخام حاييم لانداو: إنّ روح شعبنا لا تستطيع التعبير عن نفسها إلا إذا عادت الحياة القومية إلى أرضنا من جديد، لأن «القبس الإلهي» لا يؤثر في شعبنا إلا وهو في أرضه».

أمّا الحاخام الصهيوني كوك فيقول: «ليست أرض إسرائيل شيئًا منفصلًا عن روح الشعب اليهودي. إنَّها جزء من جوهر وجودنا القومي. ومرتبطة بحياتنا ذاتها، وبكياننا الداخلي ارتباطًا عضويًّا... إنّ ما نعنيه أرض إسرائيل يمكن فهمه فقط من خلال روح الرب المنتشرة في شعبنا كله، والتي تشعّ بتأثيرها على كل العواطف السليمة».

QaradawiBooks.com

هــذه الحلولية الثلاثــة قد لا تظهــر واضحة في كتابــات الصهاينة العلمانيين، ولكنها تظهر بشــكل واضح في كتابــات بوبر، الذي كتب لغاندي يقول:

«إنّنا لم نستطع، ولا نستطيع أن نتخلّى عن المطلب اليهودي، فهناك شيء أسمى حتى من حياة شعبنا، مرتبط بهذه الأرض، إنَّه عمل الشعب ورســالته المقدســة». «إنني أؤمن بتزاوج الإنســان والأرض... إنّ هذه الأرض تعترف بنا لأنَّها ـ بواسطتنا ـ تصبح مثمرة».

إنّ المطلق الذي يعلو على الإنســان قد ربط الشعب بالأرض ربطًا لا فكاك للشعب منه.

واســتعارة عبارة الزواج التي اســتخدمها بوبر، تحيط بها هالة من القداســة في التراث اليهودي، فعلاقة الله بالشعب قد وصفت في العهد القديم بأنهــا علاقــة زواج، ولا يختلف موقــف بوبر، برغم إنســانية مصطلحه الزائفة، عن موقف الحاخام القبالي: «نحن شعب لا يليق بنا أن نُلَّقب بإسرائيل (المدافعين عن الله) إلا إذا كنّا في أرض إسرائيل».

ويقول جوردون«المتمرد»: «إنّ البعث القومي لن يتم إلا عن طريق العودة إلى حقول وطننا القومي وتحت ســمائه... إننا نأتي إلى وطننا لنزرع في تربتنا الطبيعية التي نُزِعنا منها، ولنضرب بجذورنا عميقة في مصادرهــا الحياتية. ولنمد فروعنــا بعيدًا خلال هــواء وطننا القومي وتحت شمسه».

«وحينما سئل وزير الدفاع الإسرائيلي السابق، وهو عالم آثار يهودي أيضًا، ومفسّر غير متفرغ للتوراة، عما إذا كانت مطالب إسرائيل «الدينية» و«التاريخية» بخصوص بعض أجزاء الأرض المحتلة يجب أن يكون لها

QaradawiBooks.com

دور في السياسية الإسرائيلية، أجاب قائلًا: «هذا هو أساس الوجود الإسرائيلي، وهي: الشعب اليهودي، والكتاب المقدس وأرض اليهود.

«ولذلك» إذا اجتمعت التوراة وأمة التوراة، فلا بد أن تكون معهما أيضًا أرض التوراة».

ويتحدث المؤلف عن العنف وفلسفته عند الصهاينة، إلى أن يقول: «وهذا الجانب من الفكر الصهيوني يتّضح بجلاء في كتاب الثورة، الذي كتبه مناحم بيجين. يقول فيلسوف العنف: «أنا أحارب، إذن أنا موجود».

«من الدم والنار والدموع والرماد سيخرج نموذج جديد من الرجال، نموذج غير معروف البتة للعالم في الألف والثماني السنين الماضية: اليهودي المحارب أولًا وقبل كل شيء، يجب أن نقوم بالهجوم: نهاجم القتلة. بالدم والعرق سينشأ جيل متكبر كريم قوي».

«والعنف عند بن جوريون، يقوم بالوظيفة نفسها في إعادة صياغة الشخصية اليهودية؛ إذ يصف الرواد الصهاينة بهذه الكلمات: «كنا ننتظر مجيء الأسلحة ليلًا ونهارًا، ولم يكن لنا حديث إلا الأسلحة، وعندما جاءتنا الأسلحة، لم تسعنا الدنيا لفرط فرحتنا، كنا نلعب بالأسلحة كالأطفال ولم نعد نتركها أبدًا... كنا نقرأ ونتكلّم والبنادق في أيدينا أو على أكتافنا». وموقف بن جوريون مبني على تصور جديد للشخصية اليهودية على أنَّها شخصية محاربة منذ قديم الأزل: «إنّ موسى، أعظم أنبيائنا هو أول قائد عسكري في تاريخ أمتنا»، ومن هنا يكون الربط بين موسى النبي وموشي ديان مسألة منطقية، بل حتمية، كما لا يكون من الهرطقة الدينية في شيء أن يؤكد بن جوريون أنّ خير مفسر ومعلق على

QaradawiBooks.com

التوراة هو الجيش؛ فهو الذي يساعد الشعب على الاستيطان على ضفاف نهر الأردن، فيفسّر بذلك كلمات أنبياء العهد القديم ويحقّقها. «ولنلاحظ كيف يكتسب العنف هو الآخر شيئًا من القداسة!».

«وإذا كان العنف هو البوتقة التي يولد من خلالها اليهودي الجديد، فهو أيضًا البوتقة التي يولد فيها المجتمع الصهيوني الجديد. فالجيش الإسرائيلي لا يقوم بالدفاع عن إسرائيل فحسب، بل إنَّه المكان الذي تولّد فيه الحضارة الإسرائيلية ذاتها: «عن الجيش مدرسة للشباب الناشئ». دار حضانة لتفرد الأمة، لحضارتها وشجاعتها، «وهنا في الجيش يجب أن يجند معلّمونا بكل ما أوتينا من قوة». والجيش هو أكبر معهد تعليمي في أرض الميعاد؛ فالمهاجرون يلتحقون بهذا المعهد حال وصولهم إلى إسرائيل، حيث يكتسبون الخبرات، ويتعلّمون العبرية، ويطرحون عنهم قصور المنفى ليصبحوا مواطنين إسرائيليين عاديين، وحسب كلمات بن جوريون لعب الجيش دورًا حضاريًّا أساسيًّا في مزج جماعات المهاجرين بعضها بالبعض الآخر».

ويتحدّث المؤلف عن الولاء عند اليهود ولمن يكون، فكان مما قاله: «وقد عد ليفي أشكول المساهمات اليهودية التي تتم على «أرض أجنبية» محض خيانة للروح اليهودية الخالصة، ومثل هذا الطرح يثير قضية ولاء اليهود، ولمن يكون؟ والإجابة الصهيونية على هذا السؤال واضحة تمام الوضوح؛ فولاء اليهود الموجودين في كل مكان هو لشعبهم اليهودي ولوطنهم القومي فحسب، وليس لأوطانهم التي يعيشون فيها. ولذا حذر كلاتزكين الشعب الألماني من أنّ حدود ألمانيا لا تستطيع، بأيّ صورة من الصور، أن تحد من حركة الشعب اليهودي أو ولائه، لأن ولاء اليهودي ليهوديته شيء يسمو على الحدود الوطنية:

QaradawiBooks.com

«إنّ اليهودي المخلص لا يمكنه إلا أن يكون مواطنًا يهوديًّا، ولا يمكن أن تجد في الوجـدان اليهودي أدنى أثر للقوميـة الألمانية، ثم يضيف كلاتزكين «أنّ كل يهودي يدعو بلدًا أجنبيًّا وطنه إنَّما هو خائن للشعب اليهودي». وبيّن وايزمـان أنّ في أعماق كل يهودي صهيونيًّا كامنًا، وأن أولئك الذين يتسـاوى ولاؤهم القومي اليهودي مـع ولائهم لأوطانهم جدير بالرثاء والاحتقار».

«ولعل تقسـيم العالم إلى يهـود وأغيار، الذي يتبنـاه الصهاينة ثم يعطونه مضمونًـا زمنيًّا، يأخـذ شـكلًا إجراميًّا في كلمـات الحاخام موشيه بن صهيون أو سبزاي، الذي يفسّر التلمود بطريقة تسوغ القضاء على الفلسطينيين واحتلال كل فلسطين، ويأخذ هذا التقسيم ذاته شكلًا عرقيًّا قبيحًا في كلمات الحاخـام إبراهام أفيدان «زامل»، حاخام القيادة المركزية الإسـرائيلية، حينما نصـح بعدم الثقة فـي العرب، لأن على اليهود ـ في رأيه، وحسب الشريعة الدينية ـ ألا يثقوا في الأغيار. ولكن حينما يخبـر الحاخام الجنود الإسـرائيليين أنَّه «مصـرح لكم، بل من واجبكم، طبقًا للشريعة، أن تقتلوا المدنيين «من الأغيار» حتى لو كانوا من الخيريـن، أو بمعنى أصح، المدنيين الذين قـد يبدو أنهم خيرون، حينما يقتبس لهم مـن التلمود هذه الكلمات: «ينبغـي عليك أن تقتل أفضل الأغيار»، فالمسـألة تتوقّف عن كونها عنصريـة قبيحة، لتصبح تحريضًا على الإبادة».

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

هذا هو عدوّنا

إنّ مشكلة إسرائيل أنَّها وليدة الصهيونية، وأنَّها مصابة بآفات أو عاهات أساسية ملازمة لها، وهي جزء من كيانها، وليست أعراضًا طارئة عليها، وهي التي تقف حائلًا وحاجزًا بيننا وبينهم.

وإذا كان التعرف على عدونا المغتصب لأرضنا، المهدد لوجودنا واجبًا دينيًّا وقوميًّا، فلا يتم لنا ذلك إلا إذا حاولنا التعرف على هذه الآفات الخطيرة، المنبثقة عن العقلية والنفسية الصهيونية، التي كونتها تعاليم التلمود الخطرة، مضافًا إليها تطلعات الصهيونية الأشد خطرًا.

١ ـ العنصرية:

أولى هذه الآفات هي: العنصرية، وهذه آفة في بنية الفكر الديني اليهودي الذي أنشأته أسفار التوراة وملحقاتها، وغذته ونمته تعاليم التلمود، الذي يقدّسه اليهود أكثر من تقديسهم للتوراة، فاليهود ديانة شعب، والتوراة كتاب شعب، بل الله سبحانه رب شعب، هذا الشعب هو شعب إسرائيل.

نرى القرآن يعلن في صراحة ويقين: إن الله هو (**رَبِّ ٱلنَّاسِ**)، و﴿رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖ﴾، و﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، لم يقل: إنَّه رب العرب، أو رب المسلمين، في حين تقول التوراة في تأكيد عن الله: إنَّه «رب إسرائيل»!

QaradawiBooks.com

بل إنّ التوراة من أولها إلى آخرها لا تهتم إلا ببني إسرائيل، وتاريخ بني إسرائيل، وأحلام بني إسرائيل، فلا ذكر فيها للآخرة ولا للجنة أو النار، إنَّما العناية فيها بملك إسرائيل، ومجد إسرائيل.

إنّ التوراة تقول عن هذا الشعب: إنَّه «الشعب المختار»، ونحن نقول هذا عنه أيام كان يحمل رسالة التوحيد، ويحارب الوثنية، وينفذ تعاليم الأنبياء، حتى إذا غير ما بنفسه غير الله ما به، فقد انحرف في عقيدته، وانحرف في سلوكه، ووقف في وجه الأنبياء والرسل، كما قال القرآن: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]. ولهذا قال يوحنا المعمدان، وقال المسيح عليه السلام لهم: يا أولاد قتلة الأنبياء!

والقرآن الذي أعلن أنّ الله فضل بني إسرائيل على العالمين، أي عالمي زمانهم، هو نفسه الذي قال: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ۝ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩]، ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢].

وقد توهّم بعض الناس أنّ تسمية إسرائيل «الشعب المختار» أشبه بتسمية الأمة الإسلامية: ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وهذا خطأ يقينًا، فالأمة الإسلامية ليست أمة عنصرية، بل هي أمة رسالة وأهداف ومبادئ من آمن بها واعتنقها، فهو من هذه الأمة، من أي عرق أو أي لون أو أي وطن كان.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لقد استدرَّ اليهود عطف العالم عليهم باعتبارهم جنسًا مضطهدًا مشردًا، شهروا سيف الاتهام الذي استغلوه استغلالًا بشعًا، وهو «معاداة السامية».

والحقيقة أنّ معظم يهود اليوم ليسوا ساميين، وليسوا من نسل إسرائيل، بل هم كما أثبت كثير من الباحثين المنصفين من الغربيين الذين قالوا: إن يهود اليوم ليسوا يهودًا، أي ليسوا ساميِّين ولا إسرائيليين، بل إن نسبة كبيرة من اليهود هم من سلالة يهود مملكة الخزر، التي نشأت في شرق أوروبا، حين اعتنق بعض قبائل التتار الدين اليهودي، وبعد سقوط مملكة الخزر انتشر عدد منهم في منطقة القرم، وغدت بولندا مهجرهم الرئيسي، حيث قدر عددهم فيها عام (١٦٥٠م) بحوالي نصف المليون، وكانوا يتمتعون فيها بقسط وافر من الحكم الذاتي، حتى أعملت فيهم جيوش شمبيلتكي الأوكراني المذابح، ودمّروا جاليتهم في سنة (١٦٥٨م)[١].

إنّ اليهود طالما شكَوْا إلى العالم والقوى المؤثرة فيه من معاداة السامية، وهم الآن يعادون «السامية الحقيقية» المتمثلة في شعب فلسطين العربي السامي، الذي أخرج من دياره، وشرد في الآفاق بغير حق.

وإنّ اليهود الذين شكوا من «العنصرية النازية» المتعالية، يجسدون اليوم «عنصرية نازية جديدة» متعصبة لا ترى إلا نفسها، ولا تعترف بحق لغيرها، وخصوصًا إذا عارض اتجاهاتها.

(١) انظر: التطرّف الإسرائيلي جذوره وحصاده للسفير طاهر شاش صـ ٢٨، نشر دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م، وانظر: يهود اليوم ليسوا يهودًا لبنيامين فريدمان، ترجمة زهدي الفاتح، صـ ١٢ وما بعدها، نشر دار النفائس، بيروت، ط١، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

QaradawiBooks.com

٢ ـ العنف والعدوانية:

وإذا كانت «العنصرية» هي الآفة الأولى في إسـرائيل، والكامنة في البنية الأساسية لفكرها واعتقادها الديني، فإنّ الآفة الثانية هي «العنف» أو الطبيعة العدوانية، التي تتميز بالقسـوة والغلظة والعناد، حتى سمتهم التوراة كتابهم نفسه «الشعب الصلب الرقبة».

وعبّر عن ذلك القرآن فخاطبهـم بقوله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤].

وفي موضع آخر بيَّن القرآن أنّ هذه القسوة كانت عقوبة من الله لهم على نقضهم لما عهد به إليهم مـن مواثيق، فقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائـدة: ١٣] والمصادر الدينية لإسرائيل من شـأنها أن تصنع هذه الطبيعة العدوانية، التي لا تبالي في سبيل تحقيق أهدافها بما تسـفك من دماء، وما تنتهك من حرمات، وما تخرب من ديار، وما تهدر من أموال، واعتبـار الناس كأنما هم أدوات لخدمة إسرائيل.

وهذا التوجّه واضح في أسـفار التوراة الخمسة، وفي أسفار الأنبياء الملحقـة بهـذه الأسـفار، وبخاصة سـفر أشـعياء، الـذي أعجب به الإسرائيليون، وسموه «النبي المحارب».

وهو أشـدّ وضوحًا في «التلمود» الذي يرجع إليـه اليهود أكثر مما يرجعون إلى التوراة ذاتها، وربما يقدسونه أكثر من تقديس التوراة.

يعبّر عـن ذلك مناحـم بيجين الـذي كان أحـد أركان العصابات

QaradawiBooks.com

الصهيونية الإجرامية قبل قيام إسرائيل، ورئيسًا لائتلاف الليكود بعد قيام إسرائيل، بكلمته المعبرة في كتابه «التمرد»: أنا أحارب، إذن أنا موجود!

ومن استقرأ تاريخ إسرائيل حديثًا، مع شعب فلسطين خاصة؛ ومع العرب عامة، يجد هذه الطبيعة ظاهرة غير خافية، ترجمت عنها: المجازر البشرية التي أجبرت بها الشعب الفلسطيني على الخروج من دياره، وتشريده في آفاق الأرض، وما تقوم به إلى اليوم من أعمال عدوانية تقوم بها الحكومة، ويقوم بها المستوطنون، وما تضمّه من أراض فلسطينية ـ بغيًا وعدوًا ـ إلى دولتها، وما تضمّه من مستوطنات في القدس وفي الضفّة وفي غزة، وما أشعلوه من مذابح في صبرا وشاتيلا[1]، وفي مسجد «الخليل» في فجر رمضان للصائمين الركع السجود، وفي «قانا» بلبنان، وفي قتلى النفق في «القدس»، وما كشفت عنه الوقائع قبل ذلك من القتل الجماعي للأسرى المصريين، وقتل تلامذة بحر البقر في مصر. وفيما يحدث كل يوم من اعتقال وتعذيب، وعقاب جماعي، وعقاب أسرة الفدائي، وهدم بيت أهله، ثم في محاولة الدولة ـ بأمر رئيس وزرائها السابق والحالي ـ قتل الأفراد واغتيالهم وتصفيتهم، كما فعل رابين في قتل فتحي الشقاقي، ويحيى عياش، وكما فعل نتنياهو في محاولة قتل خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحماس، وفضيحته هو وجهازه الموساد على رؤوس الأشهاد. كل ذلك بمنطق القوة لا بقوّة المنطق، فالمنطق الفذّ الذي تفهمه إسرائيل هو منطق العنف والإرهاب.

(١) قال بعض الدارسين: إنّ صبرا وشاتيلا أعظم مجازر القرن العشرين، فقد استمر التقتيل والتذبيح فيها أربعين ساعة متوالية، وقتل فيها نحو ثلاثة آلاف شخص، وخصوصًا من الشيوخ والنساء والولدان.

QaradawiBooks.com

وإنّا لنعجب من الشعب الذي طالما شكا من الاضطهاد والعدوان من النازية وغيرها، كيف يضطهد شعبًا بأكمله، ويعتدي على أرضه وسيادته وحرماته، ولا ذنب له إلا تمسكه بوطنه، ودفاعه عن ملكه؟!

٣ ـ التوسعية:

وثالث الآفات الكامنة في طبيعة إسرائيل، هي: الأحلام أو الأطماع التوسعية.

إنَّها لا تكتفي بما اغتصبت من أرض، وما نهبت من أملاك الغير، بل هي لا تشبع من غصب، ولا تسأم من نهب، إنَّها كجهنم، يقال لها: هل امتلأت، وتقول هل من مزيد؟

إنَّها لا تزال تحلم بإسرائيل الكبرى: من الفرات إلى النيل.

بل هناك من يقولون: ملكك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل، ومن الأرز إلى النخيل.

من نهر الفرات في العراق إلى نهر النيل في مصر.

ومن شجر الأرز في لبنان إلى شجر النخيل في المملكة العربية في المدينة وخيبر، حيث كان يعيش أجدادهم هناك.

وهذا ما قاله رجل منهم بصراحة، هو إسرائيل شاحاك الأستاذ بجامعة تل أبيب، الذي كشف النقاب عما يخبئه الإسرائيليون في ضمائرهم، وسجّله في كتاب نشر بالإنجليزية، يبيّن فيه أنّ إسرائيل التي يحلم بها قومه تمتد إلى أجزاء من سوريا، ولبنان، وتركيا، والعراق، والسعودية، واليمن، والكويت، ومصر إلى الإسكندرية!

QaradawiBooks.com

بل هم في الواقع يريدون السيطرة على العالم، ولكن سياستهم المعهودة هي الوصول إلى الهدف البعيد خطوة خطوة.

قد يقول البعض: إنّ هذا حلم بعيد المنال، ولا يتصوّر من إسرائيل أن تركض وراء وهم وسراب، لا يمكن تحقيقه في أرض الواقع، وهي الآن أعقل من أن تتحدث عن هذه الأحلام.

ونقول: إن قيام إسرائيل نفسها كان حلمًا، أو خيالًا، منذ مائة عام، ثم غدا حقيقة واقعة، وقد لا تتحدث إسرائيل عن ذلك اليوم، لما يجلبه ذلك عليها من مشكلات، فهي تصمت عن ذلك لفترة ما، وفقا لسياسة المراحل.

وكم رفضنا من أشياء، لأنَّها دون ما نؤمن به من حقوق لنا، مثل قرار التقسيم، ثم بعد ذلك تمنينا لو قبلنا ما كنا رفضنا.

إنّ إسرائيل تسعى أبدًا لتحقيق أهدافها وأحلامها، التي كنا نعتقدها في وقت ما ضربًا من المحال، ولكنها تحقّقت، أمّا أحلامنا نحن، فهي دبر آذانها، وتحت أقدامها.

ولا ينبغي أن ننسى أن هناك قوى كبرى ساعدت ـ ولا زالت تساعد ـ إسرائيل على تحقيق ما تريد، ابتداءً من بريطانيا العظمى التي وعدت بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين على لسان وزير خارجيتها «بلفور» في وعده المشهور في (١٩١٧/١١/٢م)، والذي قيل فيه: من لا يملك، وعد من لا يستحق.

وانتهاء بالولايات المتحدة الأمريكية القوّة العظمى والقطب الأوحد في عالم اليوم، والتي تقف وراء إسرائيل بالمال والسلاح و«الفيتو»! ولولا المال الأمريكي، والسلاح الأمريكي، والفيتو الأمريكي، ما وصلت إسرائيل إلى ما وصلت إليه اليوم.

QaradawiBooks.com

ومرورًا بالاتحاد السوفيتي الذي قال في إبان قوته: إنّ إسرائيل خلقت لتبقى!

٤ ـ اللاأخلاقية:

وتعتمد إسرائيل مبدأ «اللاأخلاقية» في تعاملها مع العرب والفلسطينيين، ففلسفتها قائمة على أنّ الأخلاق تتغير، فلا ثبات لها وأنَّها تتجزأ، فلا عموم لها، فلا غرو أن تتعامل بمعيار مزدوج، معيار مع النفس، ومعيار مع الأغيار، وهذا للأسف ما قررته توراتهم، وسفر التثنية فيها: إنّ للإسرائيلي أن يقرض بربا مع غير الإسرائيلي، وليس له ذلك مع الإسرائيلي، على خلاف ما قرره الإسلام: أنّ الحلال حلال للجميع، وأنّ الحرام حرام على الجميع، ولقد سجّل القرآن على هؤلاء استباحتهم لمن عداهم، وعدم تأثمهم في ذلك دينًا، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

وإسرائيل تقرّر كذلك المبدأ الجاهلي: «يحلونه عامًا ويحرمونه عامًا»، والتحليل والتحريم وفق هواها ومنافعها الخاصة، كما تتبنّى الفلسفة الميكافيلية: الغاية تبرر الوسيلة، فكلّ الوسائل عندها مباحة ومشروعة في سبيل تحقيق غايات إسرائيل، بغض النظر عن احتياجات المحتجين، واستنكارات المستنكرين.

والعرب والمسلمون قوم أخلاقيون، فقد علّمهم دينهم ضرورة الالتزام بالعنصر الأخلاقي في كل جوانب الحياة ومعاملاتها، فالعلم لا ينفصل عن الأخلاق، والتشريع لا ينفصل عن الأخلاق، والاقتصاد لا ينفصل عن الأخلاق، والحرب لا تنفصل عن الأخلاق، والسياسة لا تنفصل عن الأخلاق.

QaradawiBooks.com

ولا يقبل الإسلام بحال مبدأ: الغاية تبرّر الوسيلة، بل يوجب شرف الغاية، وطهر الوسيلة، ولا بدّ من الوسيلة النظيفة لتحقيق الغاية الشَّريفة، ولا يرضى الإسلام الوصول إلى الحق بطريق الباطل، فإنّ الله طيب لا يقبل إلا طيبًا.

ولا غرابة أن نرى إسرائيل تحترم العهود والمواثيق إذا كانت في صالحها، وتضرب بها عُرض الحائط إذا خالفت مصالحها، وها هو بنيامين نتنياهو رئيس وزراء إسرائيل يسأل عن«اتفاقات أوسلو»، وما بعدها ـ والتي نرفضها نحن أساسًا ـ فيقول بصراحة: أنَّها قد ماتت!

وهكذا تحقَّق في هؤلاء ما قاله القرآن في أسلافهم: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٥٦].

وهم يطبّقون ما قاله بعض الساسة الأوربيين من قبل: إنّ المعاهدات ليست إلا حجة القويّ على الضعيف!

إنّ «الأخلاق» المشروعة في إسرائيل هي أخلاق العنف والإرهاب والاستحلال، هذا ما تقوم به الدولة، التي لا تزال تسيطر عليها روح رجال العصابات، وما يقوم به المستوطنون، الذين يسندون ظهورهم إلى قوة الدولة وحمايتها. والحق أنّ إسرائيل التي تصف الفلسطينيين الذين يدافعون عن وطنهم وأهليهم وحرماتهم بأنهم «إرهابيون» هي في الواقع «الإرهابي الأكبر» في العالم؛ لأنَّها تأخذ حق غيرها، وأرض غيرها، بالقوّة والسلاح والعنف، فهو إرهاب معتدٍ ظالمٍ باغٍ في الأرض بغير الحق، وقد بيّن ذلك كتاب «الإرهاب يؤسس دولة: نموذج إسرائيل»[1].

(١) تأليف د. هيثم الكيلاني، صـ ١٧١ وما بعدها، نشر دار الشروق، القاهرة، ط ١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

وهناك مواقف وأمثلة لا تحصى تدل على «الاتجاه اللاأخلاقي» عند إسرائيل، لعل أحدثها وآخرها ما قامت به نحو رئيس المكتب السياسي لحماس في الأردن الأخ المجاهد خالد مشعل، والذي حاولت اغتياله عن طريق جهاز علمي متطور، يسلط على دماغه مادة كيماوية قاتلة، مستخدمة في ذلك جوازات سفر كندية مزوّرة، احتجت كندا عليها، كما لم تبالِ أن تقوم بذلك على أرض الأردن الذي عقدت معه معاهدة سلام، ولولا رعاية الله وحمايته، ثم تنبّه الأخ خالد، ويقظة مرافقه، لذهب ضحية الغدر، دون أن يدري أحد أنَّه قد اغتيل عمدًا. هذا هو الإرهاب الذي تمارسه إسرائيل من قديم، ولا زالت.

وها هو اليوم آريل شارون ـ وزير البنى التحتية في إسرائيل ـ يعلن في جرأة ووقاحة عارية: أنّ محاولة قتل خالد مشعل، إذا كانت قد فشلت في المرة السابقة، فإنها ستتكرّر وتتكرّر، حتى تتحقّق. هكذا قال الإرهابي العريق، ولم يبال بأحد. وإذا لم تستح فاصنع ما شئت!

أمّا الفلسطينيون فإرهابهم ـ إن صحت تسميته بذلك ـ إرهاب مشروع، مستجيب لقول القرآن: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، فهو إرهاب للدفاع والمقاومة لا لاستباحة الحرمات!

واللاأخلاقية عند اليهود ليست شيئًا عارضًا في سلوكهم، بل هي أصيلة عميقة الجذور، ضاربة في أغوار تاريخهم من قديم، حتى عند أنبيائهم كما تحكي كتبهم المقدسة نفسها.

فقد جاء في العهد القديم على لسان كتبته: أنّ يعقوب وأمه خدعا إسحاق حتى يحصلا على بركته ليعقوب بدلًا عن عيسى أخيه الأكبر...

وأنّ راحيل زوجة يعقوب سرقت من أبيها لأبان ـ خال يعقوب ـ أصنامه حين رحيلهما عنه.

وجاء قبل ذلك ـ في سفر التكوين أيضًا ـ أن ابنتي لوط عاشرتاه بعد أن أسكرتاه. وأنجبتا منه المؤبيين والعمونيين... فهم أولاد زنى.

وجاء في سفر يشوع عن سقوط أريحا على يد بني إسرائيل: دمّروا المدينة... وقضوا بحدّ السيف على كل من فيها من رجال ونساء وأطفال وشيوخ... حتى البقر والغنم والحمير.

ثم جاء في سفر صموئيل الأول: أنا الذي أرسلني الربّ لأنصّبك ملكًا على إسرائيل... فاذهب الآن، وهاجم عماليق... ولا تبق على أحد منهم... بل اقتلهم جميعًا... رجالًا ونساءً وأطفالًا ورضعًا... بقرًا وغنمًا وجمالًا وحميرًا.

ثم جاء في السفر نفسه: أنّ الملك شاول طلب من داود مهرًا لابنته مائة غلفة من غلف الفلسطينيين... فراق داود الأمر... وقتل مائتي رجل من الفلسطينيين... وأتى بغلفهم كاملة... مهرًا لمصاهرة الملك.

وفي السفر نفسه أيضًا: انقلب داود على الملك شاول، وانضمّ إلى الفلسطينيين في حربهم ضد الملك الإسرائيلي... ولكن رفض الفلسطينيون انضمام داود لجيشهم... فتوسل داود لملكهم أخيش قائلًا: ماذا جنيت؟ وأي علّة وجدت في عبدك حتى لا أشترك في محاربة أعداء الملك؟

وفي سفر صموئيل الثاني: اغتصب أمنون أخته ثامار ـ وهما ابنا داود ـ ثم عاشر أبشالوم بن داود محظيات أبيه، وحارب أبشالوم أباه داود طمعًا في الملك، وقتل الابن في القتال.

QaradawiBooks.com

وفي سفر الملوك... جاء عن سليمان أنَّه عبد عشتاروت آلهة الصيدونيين... وملكوم إله العمونيين... وأقام مرتفعات ذبائح لجميع آلهة نسائه الغريبات![1].

هذا ما قالته أسفارهم المقدسة، ولم نقله نحن!

ولا غرو قال المسيح عليه السلام: لكم الويل أيها الكتبة المراؤون، أيها الحيّات أولاد الأفاعي، أبناء قتلة الأنبياء، كيف تفلتون من عقاب جهنم؟!

٥ ـ الشح وعبادة المال:

ومن الآفات الخلقية الملازمة للطبيعة الإسرائيلية: عبادة المال، والشح به، والحرص عليه، وقديمًا عبدوا العجل الذهبي، وهو يشير إلى مدى تعلّقهم بالذهب وبريقه. وقد وصفهم القرآن بالبخل، وسجّله عليهم في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ٥٣].

يقول العلامة رشيد رضا رحمه الله في تفسير هذه الآية في «المنار»:

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾ قالوا إن ﴿أَمْ﴾ هنا منقطعة، وهي عند جمهور البصريين للإضراب والاستفهام، والمراد بالإضراب هنا: الانتقال من توبيخهم على الإيمان بالجبت والطاغوت وتفصيل المشركين على المؤمنين، إلى توبيخهم على البخل والشحّ والأثرة. واختار الأستاذ الإمام أن ﴿أَمْ﴾ إذا وقعت في أول الكلام تكون للاستفهام المجرد، والاستفهام هنا للإنكار، والتوبيخ يستفاد من قرينة المقام، أي ليس لهم نصيب من الملك كما لهم نصيب من الكتاب، بل فقدوا الملك كله بظلمهم وطغيانهم ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ أي

(١) مقدمة كتاب تاريخ اليهود لأحمد عثمان صـ ٥، ٦.

QaradawiBooks.com

ولو كان لهم نصيب من الملك لسلكوا فيه طريق البخل، والأثرة بحصر منافعه ومرافقه في أنفسهم، فلا يعطون الناس نقيرًا منه إذ ذاك. والنقير: هو النقرة أو النكتة في ظهر نواة التمر، وهي الثقبة التي تنبت منها النخلة، شبّهت بما نقر بمنقار الطائر أو منقار الحديد الذي تحفر به الأرض الصلبة، والنقير كالفتيل في الآية السابقة: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٤٩]، يضرب به المثل في الشيء القليل والحقير والتافه. وكذلك يضرب المثل بالقطمير، وهي القشرة الدقيقة التي على النواة بينها وبين التمرة.

وحاصل المعنى: أنّ هؤلاء اليهود أصحاب أثرة شديدة، وشحّ مطاع، يشق عليهم أن ينتفع منهم أحد غير أنفسهم، فإذا صار لهم ملك حرصوا على منع الناس أدنى النفع وأحقره، فكيف لا يشقّ عليهم أن يظهر نبي من العرب، ويكون لأصحابه ملك يخضع لهم فيه بنو إسرائيل. هذه الصفة لا تزال غالبة على اليهود ظاهرة فيهم فإن تمّ لهم ما يسعون إليه من إعادة ملكهم إلى بيت المقدس وما حوله، فإنهم يطردون المسلمين والنصارى من تلك الأرض المقدسة، ولا يعطونهم منها نقيرًا من نواة، أو موضع زرع نخلة، أو نقرة في أرض أو جبل، وهم يحاولون الآن ـ وحاولوا قبل الآن ـ ذلك بقطع أسباب الرزق عن غيرهم. فالنجار اليهودي في بيت المقدس يعمل لك العمل بأجرة أقل من الأجرة التي يرضى بها المسلم أو النصراني، وإن كانت أقلّ من أجرة المثل، ولعل جمعياتهم السياسية والخيرية تساعدهم على ذلك، فالدلائل متوفرة على أن القوم يحاولون امتلاك الأرض المقدسة، وحرمان غيرهم من جميع أسباب الرزق فيها، يفعلون هذا، وليس لهم نصيب من الملك «هذا وما كيف لو».

QaradawiBooks.com

وهل يعود إليهم الملك كما يبغون؟ الآيــة لا تثبت ذلك ولا تنفيه، وإنَّما تبين ما تقتضيه طباعهم فيه لو حصل، وسيأتي البحث في ذلك في تفسير سورة الإسراء التي تسمى أيضًا «سورة بني إسرائيل»، ويدخل في ذلك ما تقتضيه مــن الكثرة، وهم متفرّقون ومتعلّقــون بأموالهم في كل المماليك، ومن الاســتعداد للحــرب والزراعة، وقــد ضعّف ذلك في أكثرهم، ولكنهم يعتقدون اعتقادًا دينيًّا أنهم ســيقيمون الملك أو سوف يقيمونه في البلاد المقدســة، وقد ادخروا لذلك مالًا كثيرًا، فيجب على العثمانيين ألَّا يمكنوا لهم في فلســطين، ولا يســهّلوا لهم طرق امتلاك أرضها، وكثرة المهاجــرة إليها، فإنّ في ذلك خطرًا كبيــرًا كما نبهنا في تفسير الآية السابقة من عهد قريب[1] اهـ. كتب هذا الشيخ رشيد رضا في تفسيره الذي كان يصدر به «مجلة المنار» وكان ذلك في (ج١١) ـ المجلد الثالث عشــر ـ الجمعة ٣٠ذو القعدة ١٣٢٨هـ ـ ٢ ديسمبر ١٩١٠م. أي منذ ما يقرب من ٩٠ عامًا.

الصهيونية أعلى مراحل الاستعمار:

هذه الآفات النفسية، والعاهات الخلقية، والأمراض السلوكية، التي تجسّمت في الشخصية اليهودية التلمودية ـ ولا سيما بعد ظهور الحركة الصهيونية وتوجهاتها الخطيرة ـ أفرزت العصابات الإرهابية اليهودية في عهد الانتداب البريطاني، وقبل قيام إســرائيل في ١٩٤٨/٥/١٥م، وأفرزت المجازر البشــرية، والهجمات العدوانية، والأساليب الشــيطانية، التي قامت عليها سياسة إسرائيل في ســلمها وحربها مع الفلسطينيين، ومع العرب والمسلمين.

(١) تفسير المنار (١٢٩/٥، ١٣٠)، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

QaradawiBooks.com

أفرزت هذه الآفات شرّ أنواع الاستعمار في التاريخ، وهو الاستعمار الصهيوني، الذي قال فيه من قال: الصهيونية هي أعلى مراحل الاستعمار.

وذلك لما تميّز به الاستعمار الصهيوني اللعين عن أنواع الاستعمار الأخرى، التي عرفها العالم قديمًا وحديثًا، والتي أشار القرآن إلى آثاره على لسان ملكة سبأ حين قال: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤]، أشارت إلى دخول الملوك فاتحين مستعمرين، فهم يفسدون البلاد، ويذلون العباد.

وفي العصور الحديثة عرف الناس الاستعمار البريطاني والفرنسي والإيطالي والهولندي وغيرها، وكلها شرّ على من استعمروهم.

ولكن الاستعمار الصهيوني أشدّ وأنكى، فهو، كما يقول أخونا الدكتور حسان حتحوت[1]: استعمار إحلاليّ توسعيّ عنصريّ إرهابيّ ظالم.

١ ـ استعمار إحلالي:

أي هو استعمار استيطاني، يريد تفريغ البلاد من أهلها ليحلّ هو محلّهم ما استطاع. ويزعجه أنّ يرى معدل المواليد العرب أعلى منه لدى اليهود بما في ذلك من تهويد ديموجرافي... وليس مثل الصليبيين يملك وطنًا آخر يستطيع أن يعود إليه، فلا نيّة لديه إلا البقاء. وهو لا يحاول التخلص من العرب بالتهجير أو الاضطراب إليه، أو هدم البيوت أو تغيير الجغرافيا فقط، بل يجلب مزيدًا من اليهود من أنحاء العالم ليحلّوا محل العمالة الفلسطينية، وهي الخط الحيوي الباقي للفلسطينيين. وقد صرّح بهذا ساستهم ومفكروهم، مثل البروفسور «بن زيوندينور» الذي أعلن أن ليس في بلادنا متسع لشعبين.

(١) انظر: بهذا ألقى الله رسالة إلى العقل العربي المسلم صـ ١٩٥، ١٩٦، فصل: فلسطين.

QaradawiBooks.com

ومثل «يوري لبراني» «مستشار بيجين للشـئون العربية» الذي قال: سنختزل الجالية العربية إلى طائفة من الحطّابين وجرسونات المطاعم! ومثل: «شيب الداود» الذي قال: إمّا «إسـرائيل الكبرى» وإمّا «إسماعيل الكبرى» (يعني بإسـماعيل الكبرى: الدولة العربيـة التي تجمع العرب تحت راية واحدة، وهذا يعني: انتهاء إسرائيل).

٢ ـ استعمار توسعي:

وهو ثانيًا استعمار توسعي. ما زالت خريطة من النيل إلى الفرات في الكنيسـت، والخطّان الأزرقان في أعلى وأسـفل العلم اليهودي يرمزان للنيل والفرات، وسئلت «جولدا مائير» عنه حدود دولة إسرائيل كما تراها فقالت: عندما نصل إلى الحدود سـنخبركم. وصرّح «بن جوريون» بأن الدولة اليهودية تطمح أن تشـمل حدودها جنوب لبنان، وجنوب سوريا والأردن وشـبه جزيرة سـيناء. «ولهذا لم يضم اتفاق «أوسلو» شيئًا عن «الحدود» وستظل سرًّا عند قادة إسـرائيل، لا يفصحون عنه، إلا عندما تتحقق الأحلام».

٣ ـ استعمار عنصري:

وهو استعمار عنصري. وفي تصريح سـابق «لرفائيل إيتان» الذي كان رئيس الأركان قـال: إنّ من يتهـم البيض في جنوب إفريقيـا بالعنصرية كذاب... السود هناك هم الذين يريدون التحكم في الأقلية البيضاء، تمامًا مثلما يريد العـرب أن يتحكموا فينـا. وعندما صوّتت الـدول الإفريقية بجانب قرار الأمم المتحدة باعتبار الصهيونية عنصرية في عام ١٩٧٥ «القرار الذي تمّ لحسـه فيما بعد»، كان تعليق «بيجين»: كيف تحسـب الشعوب التي كانت إلى عهد قريب تعيش فوق الأشجار أنَّها أصبحت تقود العالم؟

بل إنّ العنصرية قائمة في اليهود بين بعضهم البعض. «الأشكينازي» وهو اليهود الأوروبي الأبيض يرى نفسه أرقى من «السيفارديم». وبينما يشكّل السيفارديم سبعين بالمائة من اليهود، فقد رسم نظام للتعليم والمصروفات الدراسية بحيث لم يسمح لهم بأكثر من ستة بالمائة في الجامعات، وثلاث بالمائة عند التخرج.

أما اليهود الأحباش الذين طنطنوا بهم، فحثالة المجتمع، لدرجة أنَّه عند التبرع بالدم تنتقى زجاجات دم اليهود الأحباش فتراق، ويرمى بالدم حتى لا يستعمل، وعندما اكتشفت هذه الفضيحة أحدث مرارة كبيرة لدى الأحباش، وإحساسًا بالاضطهاد والتفرقة العنصرية (تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى) بل إنّ اليهود الأرثوذكس أصدروا من قريب فتوى بأن المحافظين واليهود الإصلاحيين ليسوا يهودًا.

٤ ـ استعمار ظالم:

وأما استعمار ظالم، فبديهية لا تحتاج إلى تدليل. لكن نحبّ أن يشهد شاهد من أهلها. فالأستاذ «جودا ماجنس» أول رئيس للجامعة العبرية يقول: إنّ لليهود أكثر من حق في مطالبة العالم بالعدالة، ولكنني على غير استعداد للحصول على العدل لليهود عن طريق الظلم للعرب. ويقول البروفسور «بنيامين كوهين» الأستاذ بجامعة تل أبيب: لقد كان اليهود على الدوام ضحايا القسوة، فكيف جاز لهم أن يكونوا على هذه القسوة. وهنالك الكثيرون منهم يرون هذا الرأي. وفي أمريكا حركتان يهوديتان كبيرتان اسمهما «السلام الآن» و«الأرض مقابل السلام»، وينكرون الظلم الواقع على الفلسطينيين، ويرون إعطاءهم وطنًا، والعيش معهم في حسن جوار، ومثلهم عدد ضخم من اليهود داخل فلسطين.

QaradawiBooks.com

٥ ـ استعمار إرهابي:

وهو كذلك استعمار إرهابي، فهذا أشد وضوحًا، فالإرهاب لحمته وسداه، الإرهاب هو الذي مهّد لقيام الدولة منذ عهد العصابات المعروفة: الهاجاناه، والأرجون، والاسترن، التي اقترفت الفظائع.

والإرهاب هو الذي أسّس الدولة، وأقامها بالحديد والنار، فقتل النساء والأطفال والشيوخ بطرق وحشية لم يعرف التاريخ لها مثيلًا، حتى كانوا يراهنون على ما في بطون الحوامل: أذكر هو أم أنثى؟ ثم يبقرون بطنها ـ وهم يتضاحكون، ليروا من الفائز منهم؟ ثم يذبحون الأم والطفل معًا!

والإرهاب هو الذي وسّع الدولة؟ بأكثر مما أعطاهم قرار التقسيم، ثم ضم إليها ما ضم في حرب يونيو سنة ١٩٦٧م.

والإرهاب هو الذي يهدد الجيران من العرب، أن يملكوا أي قوة نووية أو غير نووية، يجب أن يملكوا هم القوّة وحدهم، ولهذا ضربوا من قديم المفاعل النووي العراقي، بل هم يقتلون الشبان النوابغ من العرب في المجال النووي، كما دلّ على ذلك أكثر من حادثة. بل هو يهدّد المسلمين جميعًا، إذا حاولوا ذلك، كما نرى في الموقف من محاولة باكستان امتلاك قنبلة نووية، كما فعلت جارتها وغريمتها الهند.

والإرهاب هو الذي يقتل ـ بيد الدولة وأجهزتها وبأمر رؤسائها وقادتها ـ أبطال المقاومة الذين يدافعون عن أرضهم ومقدساتهم وأهليهم، كما رأينا في اغتيال الشقاقي وعياش والشريف، ومحاولة اغتيال مشعل.

QaradawiBooks.com

الإرهاب الصهيوني هو الذي قتل ـ من قديم ـ المصلين في مسجد يافا، وهو الذي صنع مجزرة دير ياسين، وهو الذي قتل أطفال مدرسة «بحر البقر» في مصر، وهو الذي قتل المصلين بعد ذلك في مسجد الخليل في فجر رمضان، وهو الذي قتل من قتل في النفق، وقتل من قتل في «قانا» بلبنان، وقتل أخيرًا العمّال البرآء بالقرب من حاجز «ترقوميا» بمنطقة الخليل، ولا زال يقتل ويقتل، ولا تزال يده مغموسة بدماء الأبرار.

والعجب أن يفعل الإرهاب الصهيوني ذلك كله، ويدعي أننا نحن الإرهابيون، أما هو فبريء من كل تهمة، براءة إخوة يوسف من إلقائه في الجب!

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الصهيونية خطر على العالم كله

والحقيقة التي يجب التنبيه عليها: أنّ اليهودية الصهيونية التي نتعامل معها اليوم، ليست خطرًا على المسلمين أو العرب وحدهم، بل هي خطر على العالم كله، وعلى البشرية كلها بما تحمل من روح التعصب، وما تحمل من أفكار هدَّامة، معادية لكل الديانات، وخصوصًا السماوية منها، ومعادية لكل الشعوب. هذه الأفكار التي غذّتها التعاليم التلمودية الخطرة، إنَّها خطر على المسيحية كما هي خطر على الإسلام، ولننظر في رأي كل من اليهود في المسيحية، والمسيحيين في اليهودية، ليتّضح لنا ذلك.

ماذا تقول اليهودية في المسيحية؟

ينقل لنا الأستاذ محمد السماك في كتابه «الأصولية الإنجيلية أو الصهيونية المسيحية والموقف الأمريكي»[١] هذه النصوص:

«يسمح لليهودي أن يكذب ويشهد زورًا للإيقاع بالمسيحي، فاسم الربّ لا يدنّس ولا يحلف به، حين نكذب على المسيحيين»[٢].

(١) صـ ٧ ـ ١١، نشر مركز دراسات العالم الإسلامي، ط١، ١٩٩١م.

(٢) BABA KAMA. 113a. 113b.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

«يجب على اليهود السعي الدائم لغشّ المسيحيين»[١].

«من يفعل خيرًا للمسيحيين، فلن يقوم قبره قط»[٢].

«... والآن دعونا نوضح لكم كيف مضينا في سبيل الإسراع بقصم ظهر الكنيسة الكاثوليكية، فاستطعنا التسرب إلى دخائلها الخصوصية، وأغوينا البعض من رعيتها (كهنتها الداخليين) ليكونوا روادًا في حركتنا، ويعملون من أجلنا. أمرنا عددًا من أبنائنا بالدخول في جسم الكاثوليكية، مع تعليمات صريحة بوجوب العمل الدقيق والنشاط الكفيل بتخريب الكنيسة من قلبها، عن طريق اختلاق فضائح داخلية، ونكون بذلك عملنا بنصيحة أمير اليهود، الذي أوصانا بحكمة بالغة: دعوا بعض أبنائكم يكونوا كهنة ورعاة أبرشيات، فيهدموا كنائسهم. ومع الأسف الشديد، لم يبرهن جميع اليهود من أبناء العهد عن إخلاصهم للمهمة الموكولة إليهم، فخان كثيرون العهد، لكن الآخرين حافظوا على عهدهم، ونفذوا مهماتهم بشرف وأمانة.

نحن آباء جميع الثورات التي قامت في العالم، حتى تلك التي انقلبت علينا أحيانًا، ونحن أيضًا سادة الحرب والسلام، بدون منازع، ونستطيع التصريح اليوم بأننا نحن الذين خلقنا حركة الإصلاح الديني للمسيحية، فكالفين كان واحدًا من أولادنا، يهودي الأصل، أمر بحمل الأمانة، بتشجيع المسؤولين اليهود ودعم المال اليهودي، فنفّذ مخطط الإصلاح الديني، كما أذعن مارتن لوثر لإيحاءات أصدقائه اليهود، وهنا أيضًا نجح برنامجه ضد الكنيسة الكاثوليكية بإرادة المسؤولين اليهود وتمويلهم.

---

(١) ZIHARI. 160b.

(٢) ZOHARI. 125 b.

QaradawiBooks.com

ونحن نشكر البروتستانت على إخلاصهم لرغباتنا، برغم أن معظمهم ـ وهم يخلصون الإيمان لدينهم ـ لا يعـون مدى إخلاصهم لنا، إننا جد ممتنين للعون القيم الـذي قدموه لنا في حربنا ضد معاقل المسـيحية، استعدادًا لبلوغ مواقع السيطرة الكاملة على العالم.

حتى اليوم تمكننـا من قلب الأنظمـة القائمة فـي معظم ممالك أوروبـا، والبقية آتية لا ريب عما قريب. فروسـيا شـرعت في تمهيد الطريق لمسـيرتنا، فرنسا بحكومتها الماسـونية تحت إصبعنا. إنجلترا باعتمادها على تمويلنا تحت قدمنا، ولكونها بروتستانتية، فهي معولنا في القضاء على الكنيسـة الكاثوليكية. أما إسـبانيا والمكسـيك فهما دميتـان بأيدينا، وثمـة دول عديدة، عـلاوة على الولايـات المتحدة الأمريكية، واقعة في شراكنا.

إنّ معظم صحف العالـم تعمل تحت سـيطرتنا، فلنغذ عن طريقها ـ بقوة وفعالية أكثر ـ الحقد العالي على الكنيسة الكاثوليكية.

ولنمض، لدعم وتقوية مخططاتنا، بتسميم أخلاق الأغيار، ننشر روح الثورة بين الجماهير، نشـجعها على احتقـار الوطنية، وازدراء وحدة العائلـة والارتباط بمحبتهـا، واعتبار الديـن، أي دين، هراء ومضيعة للوقت، وقضية سبقها العصر، ولم تعد تتماشى مع متطلباته ثم أخيرًا، لنتذكر دائمًا أنّ ملك اليهود المنتظر لن يرضى بحكم هذا العالم، قبل خلع البابا عن كرسيه في روما، والإطاحة بجميع ملوك العالم»[1].

(١) من الخطابات التي ألقيت في مؤتمر مجمع بناي بريث في باريس، نقلًا عن مجلة كاثوليك ازيت، عدد شباط (فبراير) ١٩٣٦م.

QaradawiBooks.com

وماذا تقول المسيحية في اليهودية؟:

أما ماذا تقول المسيحية في اليهودية، فهاك بعضه موثقًا.

لنقرأ هذه النصوص التي سجّلها الأستاذ السماك:

«يعتبر اليهود خطرًا على جميع شعوب العالم، وخاصة على الشعوب المسيحية»[١].

«إنّ القوى ذاتها التي «صلبت المسيح» طيلة (١٩٠٠) سنة، تسعى اليوم إلى «صلب» كنيسته، لقد فُرض على المسيحية، في عصرنا الراهن، نضال عظيم، نهايته ستحدد مصير المسيحية، حياة أو موتًا، لكن معظم القادة المسيحيين لم يعوا ذلك بعد، إنّ الشيوعية ـ اليهودية العالمية ـ التي نجحت في إذلال شعوب الأرض، تترقب الفرصة المواتية الآن لسحق المسيحية سحقًا كاملًا»[٢].

«كل ما أتى به المسيح، بوحي من الرب، لا يعني أي شيء عند اليهود! لقد أضناني البحث الطويل عبثًا في معظم كتب اليهود عن عبارة تعكس شيئًا من شعور إنساني نبيل نحو المسيح... وأنا أعترف بأنني، إن أفعل ذلك، لم أكن أتوقّع إطلاقًا أن أجد شيئًا عن احترام السميح بين صفحات هذه الكتب، لكني عرفت أن اليهودي الذي ينتابه مثل هذا الشعور النبيل يفقد يهوديته فورًا، ويغدو غير يهودي بالمرّة.

ففيما نجد في قرآن محمد أفكارًا تعبر عن الاهتمام بالمسيح والاحترام العميق لشخصه[٣]، نقرأ ليهودي في القرن التاسع عشر «غرايتيس» من

(١) مجلة سيفيلتا كاثوليكا، الفاتيكان.

(٢) انقضاض اليهودية على المسيحية للكاهن يرالدب وينرود صـ ٦.

(٣) في القرآن سورة عن أسرة المسيح تسمى «آل عمران»، وأخرى عن أمه «مريم» وثالثة تسمى =

QaradawiBooks.com

المفروض أنَّه من المثقفين، وصفه للمسيح بقوله: إنَّه «المولود الجديد المقتنع بالموت»... أما عن فكرة الصليب، فيقول عنه: «إنّ اليهود ليسوا في حاجة إلى مثل هذا الرمز الذي يولد شعورًا متشنّجًا... من أجل رفع مستوى عقائدهم الروحية»، بل إنّ هناك ما هو أخطر من ذلك بكثير، ففي كتاب أصدره سنة (١٨٨٠م) يهودي أسباني، وهو موسى دوليون، يصف المسيح بأنه «كلب ميت»، وأنَّه «مدفون في كومة روث»!

في أواخر القرن التاسع عشر، راح اليهود يصدرون طبعات بالعبرية يوضحون فيها «الفقرات السرية» من التلمود، كي لا يثيروا حقدنا عليهم، فحذفت من الطبعات غير العبرية الألقاب والنعوت التي اصطلحوا على تسمية المسيح بها، مثل: المجنون، الساحر، النجس، الكلب، ابن الحرام، الوثني، ابن الشهوة... إلخ، إلى جانب مسمياتهم لأمه العذراء الطاهرة»[(١)].

«يتضمّن التلمود كل الكفر والإلحاد والخسة»[(٢)] اهـ.

وقد رأينا كبار الأدباء العالميين يحذّرون من الشخصية اليهودية المصاصة للدماء، كما في مسرحية «شكسبير» الشهيرة «تاجر البندقية».

وكذلك رأينا موقف الأديب والقصاص الروسي الكبير «فيودورا يستوفسكي» من المسألة اليهودية، كما نشر في رسالة ترجمها موفق الديلمي[(٣)].

= «المائدة» عن معجزة لم يتحدث عنها الإنجيل، وعشرات الآيات في سور شتى تتحدث عن المسيح عليه السلام، وكتابه ودعوته إلى التوحيد.

(١) أسس القرن التاسع عشر لهيوستن ستيوارت تشامبرلين (٣٣٧/١).

(٢) إعلان البابا جريجوري التاسع في العام ١٢٤٢م.

(٣) ونشرتها دار ابن رشد للطباعة والنشر.

QaradawiBooks.com

إن بني إسرائيل حرفوا أو بدلوا كلام الله في التوراة، فزادوا ونقصوا، ثم حرفوه مرة أخرى، ففسروه بحسب أهوائهم، وأخضعوه لمطامعهم الدنيوية، وأغراضهم العنصرية، وهذا ما سجله عليهم القرآن الكريم: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣].

إنهم يزعمون أنهم أمة «الكتاب المقدس»، ولكن أين هو الكتاب المقدس الذي أنزله الله تعالى على موسى نورًا وهدى للناس؟

وحتى الكتاب القائم الآن ـ على ما به من تحريف وتبديل ـ لا يأخذون منه إلا ما يحقق مآربهم، ويوافق أغراضهم. فهم ـ كما وصفهم القرآن ـ يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض.

إنّ الكتاب يقول: «أحب الله من كل نفسك، وكل قلبك»، ولكنهم لا يحبون إلا أنفسهم ومصالحهم، ولا يعرفون من الكتاب إلا ما حشاه به أجدادهم من فقرات العنف والقسوة والتذبيح والتقتيل، واستباحة كل من عاداهم من الأمم والشعوب، وخصوصًا شعب كنعان!

لا يعرفون منه إلا ما احتواه من التفرقة العنصرية التي تجعل من بني إسرائيل، شعب الله المختار، وتجعل غيرهم أدنى درجة منهم، بل تجعل بعضهم عبيدًا لهم إلى الأبد.

فمن ذلك: أنّ الإسرائيليين يحرم عليهم أن يقتل بعضهم بعضًا، وأن يخرج بعضهم بعضًا من ديارهم، على حين أنَّه مباح للإسرائيليين، بل واجب عليهم غزو الشعوب الأخرى، وخاصة شعب كنعان، وواجب عليهم بعد انتصارهم على بلد ما أن «يضربوا رقاب جميع رجالها البالغين بحد السيف»، فلا يبقوا على أحد منهم، ويسترقوا جميع نسائها

QaradawiBooks.com

وأطفالها، ويستولوا على جميع ما فيها من مال وعقار ومتاع أو «ينهبوه نهبًا» حسب تعبير أسفارهم (التثنية: ١٣/٢٠، ١٤).

بل إنّ أسفارهم تقرر أن شعب كنعان قد كتب عليه في الأزل، أن يكون رقيقًا لبني إسرائيل، وأنَّه لا ينبغي أن يكون لأفراد هذا الشعب وظيفة ما في الحياة غير هذه الوظيفة، فإن تمـــردوا عليها أو طمحوا إلى الحرية وجب على بني إســـرائيل أن يردوهم إليها بحد السيف. وتقرّر أسفارهم أنّ هذا الوضع قد فرض عليهم لدعوة دعاها نوح على كنعان ونسله[1].

وإذا كان هذا في أسفار التوراة، فكيف بما حواه التلمود، الذي يجعل غير اليهود «الغوييم» أحط من البهائم وأذلّ من الكلاب؟!

وللمسيحيين العرب موقفهم من إســـرائيل والصهيونية، وهو موقف يدين الطغيان الإسرائيلي، وينكر بغيه في الأرض بغير الحق.

وقد شاركت في مؤتمر في بيروت جمع بين المسلمين والمسيحيين العرب. وقد انعقد تحت شـــعار: «مســـلمون ومســـيحيون معًا من أجل القدس».

لقد اســـتمعت فيه إلـــى كلمـــات قوية معبـــرة من عدد مـــن الآباء المسيحيين، منهم الأب المعروف «كابوتجي» مطران القدس الذي طرده الإسرائيليون منها، وبابا الإسكندرية الأنبا شنودة زعيم الكنيسة القبطية في مصر، الذي تكلم فأجاد، وآخرون تكلّموا فأحسنوا.

---

(١) انظر: الأســـفار المقدســـة للأديان الســـابقة على الإســـلام للدكتور علي عبد الواحد وافي صـ ٣١ ـ ٣٣، نشر دار نهضة مصر، القاهرة، ط ١، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

QaradawiBooks.com

ومنهم من كتب عن الصهيونية كتبا لها قيمتها العلمية والدينية.

اقرأ ما يقوله الأب بولس حنا مسعد في كتابه «همجية التعاليم الصهيونية»:

«للنصراني إنجيل يبشر به العالم، وللمسلم قرآنه ينشره بين جميع الشعوب، أما الإسرائيلي فله كتابان: كتاب معروف لا يعمل به، وهو التوراة، وآخر مجهول عند العالم يدعى «التلمود» يفضله على الأول ويُدرِّسه خفية، وهو أساس كل مصيبة!»[١].

لقد بيّنا أنّ العنصرية لدى اليهود جزء لا يتجزأ من كيانهم النفسي، وأنّ العالم مقسم إلى «يهود وأغيار» واليهود هم الأخيار، والأغيار هم الأشرار، وأنّ استباحة حرمات الآخرين، أو «الأغيار» جزءٌ لا يتجزأ من تراثهم الديني.

إنّ الله ذاته ـ تعالى شأنه ـ عندهم عنصري! يقول الأب بولس حنا: «إنّ النصارى يؤمنون بأن الله هو أبو الجميع، والمسلمون يؤمنون بأن الله رب العالمين، أما الصهيونيون، فلا يريدون أن يكون الإله إلا لهم وحدهم، ولهذا عرف عندهم أنَّه «إله إسرائيل»[٢].

الرئيس فرانكلين يحذر من اليهود:

ومن السياسيين الذين أدركوا ببصيرتهم النافذة خطر اليهود على مجتمعاتهم: الرئيس الأمريكي فرانكلين.

ففي القرن الثامن عشر، وعلى التحديد في عام (١٧٨٩م) أصدر بنجامين فرانكلين رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وثيقة رسمية لتحذير

(١) همجية التعاليم الصهيونية صـ ١٠، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
(٢) المصدر السابق، صـ ١١.

QaradawiBooks.com

الأمريكان من اليهود، وقد ألقاها في خطاب رسمي عند وضع دستور الولايات المتحدة جاء فيها: «هناك خطر عظيم يهدد الولايات المتحدة الأمريكية، وهو خطر اليهود، وفي كل أرض حلّ فيها اليهود أطاحوا بالمستوى الخلقي، وأفسدوا الذمة التجارية، وهم منعزلون لا يندمجون مع غيرهم، وهم منذ أكثر من (١٧٠٠) عام يندبون حظهم، لأنَّهم طردوا من ديار آبائهم، ولو ردت إليهم فلسطين، فلن يذهبوا جميعهم إليها، لأنَّهم طفيليات لا يعيش بعضهم على بعض، ولا بد لهم من العيش بين المسيحيين وغيرهم ممن لا ينتمون إلى عرقهم، وإذا لم يبعد هؤلاء اليهود عن الولايات المتحدة بنصّ دستورها، فإن سيلهم سيتدفّق إليها في غضون مائة سنة، وسيتمكنون من أن يحكموا شعبنا ويدمروه، ويغيّروا شكل الحكم الذي بذلنا في سبيله دماءنا، وضحّينا له بأرواحنا وممتلكاتنا وحرياتنا، ولن تمر مائتا سنة حتى يكون مصير أحفادنا العمل في الحقول لإطعام اليهود، على حين يظل اليهود مسيطرين على المؤسسات المالية، وإذا لم يبعد الشعب الأمريكي اليهود نهائيًا، فسوف يلعنهم أبناؤهم وأحفادهم في قبورهم، كما أنَّ اليهود لن يمارسوا المثل الأمريكية العليا، ولو عاشوا بين الأمريكيين عشرة أجيال، لأن الفهد لا يستطيع إبدال جلده الأرقط. إن اليهود خطر على أمريكا إذا سمح لهم بحرية الدخول، وسيقضون على المؤسسات الأمريكية، وعليه يجب استبعادهم بنص الدستور.

إنّ ما جاء في الخطاب في القرن الثامن عشر ينطبق تمام الانطباق على اليهود في هذه الأيام، فقد سيطروا على اقتصاد أمريكا وسياسة أمريكا، وقد حلّ بالشعب الأمريكي ما تنبأ به الزعيم الراحل بنجامين فرانكلين[1].

(١) انظر: القدس الشريف خلال فترة الاحتلال الإسرائيلي ١٩٦٧م ـ ١٩٨٧م للمهندس رائف يوسف نجم صـ ٣١، ٣٢، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الأردن، ط ٢.

QaradawiBooks.com

وما تخبّئه الأيــام لأمريكا من كيد اليهود أعظــم وأعظم، وكما قال الشاعر العربي قديمًا:

ستُبْدي لك الأيامُ ما كنتَ جاهلًا ويأتيكَ بالأخبارِ مَنْ لم تُزَوِّدِ![١]

أو كما قال الشاعر الآخر:

أَمَرْتُهمــو أمري بمَنْعــرج اللِّوى فلم يَسْتَبِينوا النُّصْحَ إلا ضُحَى الغَدِ![٢]

* * *

(١) من معلقة طرفة بن العبد، انظر: ديوانه صـ ٢٩، شــرح وتقديم: مهدي محمد ناصر الدين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت ط ٣، ٢٠٠٢م.

(٢) من شــعر دريد بن الصِّمَّة، كما في الشــعر والشــعراء لابن قتيبة الدينوري (٧٣٨/٢)، نشر دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

أمريكا وإسرائيل

إنّ إسـرائيل لم تقم على أي حق أو منطق، مـن الدين أو الخلق أو التاريخ، أو الشرعية، فهي دخيلة على المنطقة، غريبة عنها، وإنَّما فرضت نفسها، بالعنف والدم والحديد والنار، مستغلّة ضعف العرب والمسلمين، وتفرقهم، ومسـتندة إلى قوة الاسـتعمار ومسـاندته، ولا سيما أن دول الاسـتعمار تدين بالمسـيحية التي تؤمن بما في كتب اليهود وأسفارهم على ما فيها من تحريف وتناقض.

فالغرب في الحقيقة هو صانع إسـرائيل، وممدها بالمال والسلاح، كما في غرب أوروبـا وأمريكا، أو بالرجال كما في الاتحاد السـوفيتي وشرق أوروبا.

ولولا المليارات الدائمة والمسـتمرة من الغرب، ولولا المساعدات المالية الأمريكية، والمعونات العسكرية الأمريكية، والتأييدات السياسية الأمريكيـة، المتمثلة أوضح ما تكـون في الفيتـو الأمريكي، ما قامت إسرائيل، ولا استمرّت بعد قيامها.

وآخر ما شاهدناه في هذه المسرحية المأسـاة أو الملهاة هو موقف أمريكا من نقل سفارتها من تل أبيب إلى القدس، وتخصيص مائة مليون (١٠٠) دولار لذلك، وتعليل البرلمان الأمريكي ذلك بعلل واهية مردودة،

نسخة مجانية

نقدها الصحفي المعروف أحمد يوسف القرعي في صحيفة «الأهرام» القاهرية، فقال:

لم يكن قرار مجلس النواب الأمريكي الصادر في (١٠ يونيو) الماضي إلا مجرّد إجراء تشريعي ضمن إجراءات أخرى في برنامج زمني محدد لعملية تمويل بناء السفارة ونقلها. وقد أورد قانون الكونجرس خطوات هذا البرنامج مشفوعة بعدد من المزاعم والادعاءات التاريخية والقانونية والسياسية بشأن عروبة القدس، ويعجب المرء كيف يجرؤ مجلس تشريعي لدولة كبرى أن يسجل في متن قوانينه مثل هذه الافتراءات.

وبعد المغالطة التاريخية التي وقع في شراكها الكونجرس الأول في الفقرة الأولى من الديباجة بشأن حق إسرائيل في اختيار عاصمتها، بالرغم من أن القدس أرض محتلة وتخضع لقانون الحرب.

وبعد ما أكد الكونجرس جهله بالتاريخ في الفقرتين الثانية والثالثة عندما زعم أنَّه منذ عام (١٩٥٠م) كانت مدينة القدس ـ ولا تزال ـ عاصمة لدولة إسرائيل دون أن يحدد أيّة قدس مقصودة.

بعد هذا وذاك يفاجئنا بقانون الكونجرس في الفقرات التالية (من ٤ إلى ٨) من الديباجة بادعاءات دينية باطلة من الأفضل تذكير القارئ بها:

٤ ـ أنّ مدينة القدس هي المركز الروحي لليهودية، وتعتبر أيضًا مدينة لكل معتنقي الأديان!

٥ ـ أنَّه منذ عام (١٩٤٨م) وحتى عام (١٩٦٧م) كانت تحت القدس مدينة مقسّمة، وكان المواطنون الإسرائيليون من كل المعتقدات، بالإضافة إلى المواطنين اليهود من كلّ الدول لا يسمح لهم بالدخول إلى الأماكن المقدسة، التي كانت تحت سيطرة الأردن.

QaradawiBooks.com

٦ ـ أنَّه ومنذ عـــام (١٩٦٧م) تمت إعادة توحيد مدينـــة القدس أثناء صراع ما عرف بحرب الأيام الستة!

٧ ـ أنَّه ومنذ عام (١٩٦٧م) كانـــت القدس ـ ولا تزال ـ مدينة موحّدة تديرها إسرائيل التي تكفل الحقوق الكاملة للجميع من الأديان المختلفة، لدخول الأماكن المقدسة داخل المدينة!

٨ ـ أنّ هذا العام (١٩٩٥م) يعتبر العام الثامن والعشرين على التوالي الذي يشـــهد أنّ القدس كانت ـ وتزال ـ تدار كمدينـــة موحدة، وتُحترم وتُؤمَّن فيها حرية الجميع من الأديان المختلفة!

والكونجرس بمثل هـــذه الادعاءات والافتـــراءات جعل من القدس المركز الروحي لليهودية دون ســـواها من الأديان السماوية، وجعل من إســـرائيل دون ســـواها حامية حمى الأماكن المقدســـة، وحامية حريات دخول معتنقي الأديان المختلفة[1].

ولا شك أنّ وقائع الاحتلال الإسرائيلي للقدس، وطوال ثلاثة عقود (١٩٦٧ ـ ١٩٩٧م) كافية للرد علـــى مغالطات الكونجـــرس التي أوردها، وكأنها نتائج مسلم بها.

ونســـجِّل هنا أكثر الوقائع خطورة لكي يدرك أعضاء الكونجرس كم هم منحازون إلى ادعاءات ومزاعم وأساطير إسرائيل:

(١) في ٦ ديســـمبر ٢٠١٧م أعلن الرئيس الأمريكي ترامب أن القدس، بشقيها الشرقي والغربي، عاصمة لإسرائيل، وفي ١٤ مايو افتتح مبنى مؤقت صغير للســـفارة الأميركية داخل المبنى الذي يضمّ القنصلية الأميركية الموجودة بالفعل في القـــدس، على أن يتم في وقت لاحق تأسيس موقع كبير آخر مع نقل باقي السفارة من تل أبيب.

QaradawiBooks.com

وتبدأ أكثر الوقائع خطورة بمحاولة إحراق إسرائيل للمسجد الأقصى في (١٢ أغسطس سنة ١٩٦٩م)، ولم تكن هذه المحاولة إلا بداية مخطط عاجل وآخر آجل، لهدم المسجد الأقصى، فقد سبق المحاولة بدء الحفريات العميقة تحت المسجد وحوله، بزعم البحث عن آثار هيكل سليمان المندثرة منذ ألفي سنة، وإقامة نفق سياحي، كما سبق المحاولة البدء في مصادرة وهدم ونسف عقارات الأوقاف الإسلامية الملاصقة للمسجد الأقصى.

ومما يدلّ دلالة قاطعة على وجود مخطط عاجل وآخر آجل لهدم المسجد الأقصى هو: تساؤل صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية في (٢٨ مارس سنة ١٩٨٢م): هل أصبحت مسألة هدم المسجد الأقصى وقبة الصخرة مسألة وقت فقط؟ وجاء في مقال الصحيفة: «إنّ الحكومة الإسرائيلية تختبئ وراء الحركات الدينية المتطرفة لتحقيق أهدافها في نسف قبة الصخرة، وإقامة الهيكل الثالث على أنقاضها». طرحت الصحيفة الإسرائيلية هذا التساؤل أثناء حكم الليكود، وأشارت إلى أن مناحم بيجين كان قد وعد المتدينين ـ لدى تسليمه رئاسة الحكومة الإسرائيلية في مايو سنة (١٩٧٧م) ـ بأن يحقق لهم مطلبهم بإقامة الهيكل الثالث على جبل البيت أو الهيكل، وهو الموقع الذي يقوم عليه الحرم القدسي الشريف.

ولم يكن وعد بيجين وعدًا شخصيًّا بقدر ما كان وعدًا من كل مؤسسات الحكومة الإسرائيلية، لتهويد القدس وطمس مقدساتها الإسلامية، ومنح المتطرفين اليهود كل فرصة لتدنيس هذه المقدسات. وعلى سبيل المثال: يكفي الإشارة إلى الحكم الصادر من محكمة العدل الإسرائيلية العليا بتاريخ (٢٣ سبتمبر سنة ١٩٩٣م)، بإعلان الملكية اليهودية على منطقة الحرم القدسي الشريف، وذلك لإفساح المجال أمام

QaradawiBooks.com

اليهود لدخول حرم المسجد، ومنع أي أعمال تقوم بها إدارة الأوقاف في ساحات الحرم القدسي الشريف، من ترميم وزراعة أشجار، وإقامة احتفالات دينية، وكانت جماعة «أمناء جبل الهيكل» أسعد الجماعات اليهودية المتطرفة بحكم المحكمة؛ إذ أصبحت هذه الحركة المتطرفة هي الوحيدة على الحرم القدسي الشريف.

حدث هذا سنوات حكم حزب العمل الإسرائيلي مما يدلّ ـ أيضًا ـ على لعبة توزيع الأدوار فيما بين رؤساء إسرائيل العشرة ابتداء من بن جوريون وحتى نتنياهو، الذي استهل حكمه بتشريع عملية نفق المسجد الأقصى، وافتتحه في (سبتمبر سنة ١٩٩٦م) مستفزًّا بذلك مشاعر العرب والمسلمين، ومتحديًا نداءات الرأي العام العالمي لخطورة افتتاح النفق على أساسات المسجد الأقصى وقبة الصخرة.

تلك مجرد وقائع صارخة من ممارسات إسرائيل العديدة، والمتنوعة لانتهاك حرمة المقدسات الإسلامية وأيضًا المسيحية.

والكونجرس الأمريكي عندما يتناسى كل هذا، ويكرر ادعاءات ومزاعم إسرائيل في قوانينه وقراراته، يزج بنفسه ـ كما قلنا ـ دون أن يدري، في معركة عقائدية على جبهة إسلامية مسيحية واسعة، يشهد لها التاريخ أن أعلى مراتب التسامح الديني قد ازدهرت في القدس طوال ١٤ قرنا من الزمان، تحت ظلال السيادة العربية الإسلامية[١].

لقد كشفت أمريكا القناع عن عداوتها لأمة الإسلام، وحقّها التاريخي في القدس الشريف، كما أعلنت بوضوح ووجه مكشوف عن انحيازها

(١) مقال القدس وقانون الكونجرس الأمريكي لأحمد يوسف القرعي جريدة الأهرام، عدد ١٠ يوليو ١٩٩٧م صـ ١٠.

QaradawiBooks.com

الكامل والسافر لإسرائيل، ودعاوى إسرائيل، وافتراءات إسرائيل، واعتداءات إسرائيل... في حين وقفت ضد ليبيا، وضد العراق، وضد باكستان، وضد كل من تسوّل له نفسه أن يقول لأمريكا: لِمَ؟ دعك من أن يقول: لا!

فلنعرف ذلك لأمريكا، وليعرف ذلك الذين يعتبرونها ـ إلى اليوم ـ البلد الصديق، والذين لا يزالون يعتبرونها راعية السلام.

إنَّها حقًّا راعية السلام بمعنى واحد محدد، وهو سلام إسرائيل وحدها من كل مقاومة أو منافسة، ومن كل سوء يمسها ظاهرًا أو باطنًا!

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾(١)

منذ كنا طلابًا في المرحلة الابتدائية بالأزهر الشريف، ونحن مشغولون بقضية المسلمين الأولى، قضية أرض النبوات والمقدسات، أرض فلسطين.

وكان مما أكد اهتمامي بهذه القضية: أنِّي انتسبت مبكرًا إلى مدرسة رجل كانت هذه القضية من أكبر شواغله، وفي مقدمة اهتماماته، تلك هي مدرسة حسن البنا الذي كان من الرواد الذين نوّروا العقول، وألهبوا العواطف، من أجل فلسطين والمسجد الأقصى.

كنا نُسيِّر المظاهرات الصاخبة، ونُلقي الخطب النارية، ونُنشئ القصائد الحماسية، لإلهاب المشاعر، وتحريك الشعوب، وتجنيد القوى والطاقات من أجل فلسطين، وخصوصًا في الثاني من نوفمبر كل عام: ذكرى وعد «بلفور» الذي قيل فيه: من لا يملك وَعَدَ من لا يستحق!!

وقد علّق على هذا الوعد الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين بقوله: إنّ فلسطين ليست وطنًا بغير شعب حتى تستقبل شعبًا بغير وطن!!

(١) نشرت هذه الكلمة في الصحف القطرية بعد توقيع (اتفاق أوسلو) المشؤوم.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وحينما فُتح باب التطوع سنة ١٩٤٨م، بادرنا إلى التدريب من جهة، وإلى تعبئة مشاعر الجماهير من جهة أخرى، وذهب من إخواننا وزملائنا إلى أرض المعركة من ذهب، واستشهد من ادخر الله له الشهادة، وسيق إلى المعتقل من كتب الله له الحياة، وشهدنا اندحار الجيوش العربية السبعة أمام عصابات اليهود، بخيانات الخائنين، وتآمر المتآمرين.

إسرائيل المزعومة!

وهكذا قُدِّرَ لجيلنا أن يشهد سلسلة دامية الحلقات من المآسي، في قضية فلسطين.

شهدنا قرار التقسيم سنة ١٩٤٧م، الذي رفضناه بالإجماع، لأنّ أحدًا لا يقبل تقسيم داره بينه وبين غاصب ظالم. ثم تمنينا لو قبلنا ما رفضناه بعد أن جرى ما جرى.

ثم شهدنا قيام دولة «إسرائيل» في ١٩٤٨/٥/١٥م، وإخراج مئات الألوف من أبناء فلسطين من ديارهم، وتشريدهم في الأرض.

شهدنا قيام دولة «إسرائيل» التي ظللنا سنوات عدة نطلق عليها اسم «إسرائيل المزعومة»، ثم خجلنا من أنفسنا، حين كانت هذه المزعومة تصول وتجوّل على كل الجبهات، ولا نملك نحن إلا الشجب والشكوى إلى مجلس الأمن! فحذفنا وصف «المزعومة» بعد أن أوشكنا أن نكون نحن «المزعومين»!!

شهدنا النكبتين الكبيرتين: النكبة الأولى سنة ١٩٤٨م، والنكبة الثانية ١٩٦٧م، التي احتلّت بها إسرائيل ما بقي من فلسطين: الضفة الغربية بما فيها القدس، وغزة، إضافة إلى سيناء والجولان وجنوب لبنان.

QaradawiBooks.com

فصل جديد في المأساة:

ولكن قضاء الله لهذه الأمـــة، أنَّها لا تموت، وأنَّهـــا أمة ولود لا تزال تنجب الأبطال، الذين لا يدعون الراية تسقط أبدًا، فقامت حركات النضال والجهاد لتحرير الأرض المقدسة، التي بارك الله فيها للعالمين، ابتداء من «فتح» إلى حركة المقاومة الإســـلامية «حماس» وقامت «الانتفاضة» التي بهرت العالم، وزلزلت إسرائيل، وما ذلك إلا لأنَّها انتفاضة إسلامية، كانت منطلقاتها المساجد، ورياتها المصاحف، وشـــعاراتها: لا إله إلا الله، والله أكبر؛ ونشيد أشبالها: خيبر، خيبر، يا يهود، جيش محمد سوف يعود!!

ولكن ها نحن اليوم نشـــهد فصلًا جديدًا، لم يكـــن ليخطر لنا على بال، قلب كل الموازيـــن، ونقض كل القواعد، وغيّـــر كل الثوابت التي أصبحنا وأمسينا عليها نصف قرن من الزمان، ونشَّأنا على ذلك أطفالنا، وربينا عليه شبابنا، فشـــب عليه الصغير، وهرم عليه الكبير: أنّ إسرائيل خطر عســـكري وسياســـي وديني واقتصادي وثقافي، وصنفت في ذلك مؤلفات، وأنشئت لذلك مراكز ومؤسسات، وعقد له ندوات ومؤتمرات.

وكم بدأنا وأعدنا فـــي حقنا فـــي الأرض كل الأرض، وأنّ العدوان لا يكسب المعتدي شـــرعية، وما قام على الباطل فهو باطل... إلخ. ثم تخاذل المتخاذلون، فإذا هم يرضون بالواقع بعد عدوان ١٩٦٧/٦/٥م وإذا هم يبنون سياســـتهم على مجرّد إزالة آثار العدوان، والرضا بالعودة إلى حـــدود ما قبل ٥ يونيـــو ١٩٦٧م أي أن العـــدوان الجديـــد، كأنما أضفى الشرعية على العدوان القديم! عدوان (١٩٦٧م) أنسى عدوان (١٩٤٨م).

ثم زاد الطين بلة ـ كما يقولون ـ فرضي من رضي بمجرد حكم ذاتي تحت سلطان إسرائيل!!

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ثم انتهى المطاف إلى ما شهدناه اليوم من قبول الدون، والقرار الهون: من تجزئة الحل، وإسقاط القدس، والتنازل عن جزء من دار الإسلام لغاصبيه، والسكوت عن حق الملايين الثلاثة أو الأربعة في العودة إلى ديارهم المغصوبة، ومدّ يد المصافحة إلى أبطال دير ياسين وصبرا وشاتيلا وغيرها. كل هذا في مقابل ٢٪ من مجموع أرض فلسطين، على نحو ما قال العربي قديمًا: إذا ما لم تكن إبل فمعزى!!

أنا أعلم أن الشعوب قد تأتي عليها ساعات توقع فيها على هدنة أو صلح وهي كارهة مرغمة، بعد اندحارها في حرب لا تملك بعدها إلا التسليم. كما فعلت اليابان بعد ضربها بالقنابل الذرية، وكما فعلت ألمانيا بعد هزيمة هتلر.

ولكن أن يستسلم الفارس، وهو شاهر سيفه، حامل رمحه، ممتط جواده، وأن يعتبر استسلامه لعدوّه مجدًا وفتحًا يُحسب له، ويُغبط عليه، ويعدّ تنازله عن جزء من وطنه مكسبًا، ويطالب الحناجر أن تهتف باسمه، والأيدي أن تصفق له. فهذا ما لم نعهده في تاريخ الأبطال والفرسان إلا حين يستحيل الفارس إلى دمية، والفرس إلى حمار، والسيف إلى عكاز!

إشفاق على أبنائنا:

إنني أشفق على أبنائنا وشبابنا الذين حفظناهم أناشيد الجهاد، وأغاني العودة وعلَّقنا قلوبهم وعيونهم بالمسجد الأقصى، وقبّة الصخرة، ومسرى الرسول، وأولى القبلتين، وصببنا في عقولهم وضمائرهم ووجدانهم كراهية بني صهيون، وظلم إسرائيل التي قامت على اغتصاب الأرض، وانتهاك العرض، وتشريد الأهل. فإذا بنا ـ ما بين عشية

QaradawiBooks.com

وضحاها ـ نشطب هذا كله، وننسخه بجرة قلم، ليصبح العدو صديقًا، والاغتصاب مشروعًا، والعدوان مقبولًا، مع أنّ الوطن لم يتحرر، والمشرد لم يعد إلى أرضه؛ والأقصى لم يزل أسيرًا، فكأننا نقول لهذا الجيل المسكين: لا تصدقونا فيما كنا نقول لكم، إن الذي كنا نسميه بالأمس جهادًا وبطولة ونضالًا أصبح اليوم عنفًا وإرهابًا، والذي كنا نسميه سفاحًا غدا اليوم شريفًا. لا يوجد شيء ثابت عندنا، كل ما كان حقًّا يمكن أن يكون باطلًا، افتحوا النوافذ لتهب عليكم نسمات إسرائيل، وافتحوا الأبواب لتدخل عليكم بضائع إسرائيل، وبنات إسرائيل أيضًا، و«إيدز» إسرائيل!!

حفل التوقيع البائس:

لقد أكد رابين عشية سفره إلى واشنطن للتوقيع على الاتفاق المزعوم للسلام أنّ القدس ستظل عامة لإسرائيل، وللشعب اليهودي إلى الأبد، وأنّ العلم الفلسطيني لن يخفق فوقها يومًا من الأيام!! وهو بهذا يبلغ رسالة إلى الفلسطينيين يؤكّد فيها أحد الثوابت التي لا تقبل التغيير، أو التعديل في السياسة الإسرائيلية، فعلى الفلسطينيين أن ينسوا قضية القدس، ويشطبوها من خريطتهم... وأكّد ذلك في حفل التوقيع حين قال أمام العالم: نحن قادمون من القدس، العاصمة التاريخية والأبدية للشعب اليهودي!!

ولقد ذكر أبو عمار، وأبو مازن في كلمتيهما: أنهما يأملان أن تحلّ المشكلات الصعبة المعلقة في المرحلة القادمة، وهي: مشكلات القدس واللاجئين والمستوطنات والحدود، فإذا كانت هذه هي المشكلات المعلّقة، فما المشكلات التي تمّ حلّها إذن؟!

QaradawiBooks.com

الفرق بين رجلين وكلمتين:

والحق أنِّي كنت أتابع حفل التوقيع الذي يرونه عرسًا، ولا أرى فيه إلا مأتما!

كنت أقارن بين الموقفين وبين الكلمتين: موقف عرفات ورابين، وكلمتيهما، فأجد ـ واأسفاه ـ فرقًا شاسعًا.

كان موقف رابين موقف المتفضل المتنازل، وموقف عرفات موقف الممتن الشاكر! حتى إنَّه ختم كلمته بتكرار كلمة: شكرًا «بالإنجليزية» ثلاث مرات!

لم ينس رابين أن يتحدث عن تاريخهم القديم والحديث، وكفاحهم الطويل، وشهدائهم وضحاياهم، تمهيدًا لحديثه عن السلام، واستشهد بالتوراة، وذكر فقرات من «سفر الجامعة»، ودعا إلى الصلاة من أجل السلام، ولم يكن هم عرفات إلا المديح والشكر والعرفان، فلم يلتفت إلى شيء من قبيل ما ذكره رابين، ولم يستشهد بآية من القرآن، ولم يجر على لسانه كلمة واحدة عن الإسلام! ولم يذكر المسجد الأقصى بعبارة واحدة!!

انتهز رابين الفرصة، وعلم أن العالم كله يشاهده ويستمع إلى كلمته، فضمنها ما يدعم قضيته، ويحشد عواطف العالم معه، فتحدث ـ وهو القاتل ـ بلهجة الضحية، وبدا ـ وهو الظالم ـ في صورة المظلوم![1].

---

(١) ذكر الكاتب محمد حسنين هيكل في كتابه: سلام الأوهام ـ وهو الجزء الثالث من كتابه: المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل ـ ما قال بعضهم: إن الضحية شرحت مأساتها بأسلوب الموظفين الحكوميين، وأما الجلاد فقد تحدث عن نفسه بأسلوب الشهداء! وقال آخر: إن هناك خطأ حدث. فخطاب رابين كان في الأصل مكتوبا لعرفات. وخطاب عرفات كان لا بد أن يكون خطاب رابين! ثم قال ثالث: إن رابين تحدث عن المآسي الإنسانية التي =

QaradawiBooks.com

كان رابين صـارم التقاطيع، متهجِّم الوجـه، وكان عرفات ضاحك الوجه، صدقًـا أو تظاهرًا، ولا أدري علام يضحـك؟ إن كانت الظروف أرغمته على هذا الاتفاق الرخيص ـ فقد كان الواجب أن يبكي، فإن لم يجد بكاء تباكى! أو بدا على الأقل كما بدا خصمه.

لقد عرف تاريخ العمل الفلسطيني من قبل «أيلولًا أسود» واليوم نراه يواجه «أيلولًا آخر» أشد سوادًا!

سلام السراب أو سراب السلام:

في معرض الكتاب بالدوحة في شهر ديسمبر سنة ١٩٩٢م، وفي أمسية شعرية ألقيت قصيدة عن «سلام السراب أو سـراب السلام» عبّرت بها نحو مشاعري عن مسيرة السلام المزعومة، قلت فيها:

فيـا عجبًـا لمـن يجـري ... وراءَ سـرابِـه النَّفْسـي
يـظـنُّ لـه بـه رِيًّـا ... ويـرجـعُ فـارغَ الكـأسِ
يُفَـرِّطُ فـي دمِ الشـهدا ... ءِ يـا لَـلْـعـارِ والـبُـؤسِ
يَـبِـيـعُ الأرضَ والـتَّـاريـ ... ـخَ بالأَرْخَـصِ مِـنْ فَلْسِ
بحُكْـمٍ فـي حَمَـى صهيو ... نَ يـا لَلثَّمَـنِ البَخْـسِ
فَـلَا دَوْلَـتُـه قَـامَـتْ ... ولا أَبْقَـى عَلَـى النَّفْـسِ
وضَـاع جـهـادُ قَـرْنٍ كا ... مـلٍ دَفَنُـوهُ فـي الرَّمْـسِ
جـهـودٌ كـلُّـهـا ذهـبـتْ ... «كأنْ لـم تَغْـنَ بِالْأَمْـسِ»

= عاشها الشعب الإسرائيلي. في حين أن عرفات بدا وكأنه يعتذر نيابة عن الشعب الفلسطيني وعن نفسه! صـ ٣٣٠، نشر دار الشروق، القاهرة، ط ٧، ٢٠٠١م.

QaradawiBooks.com

فـــمـــا معـــنـــي فلســـطينٍ بـــلا أقصـــى ولا قُـــدْسِ؟
فـلـسـطـيـنٌ بـــلا قـــدسٍ كـجُـثْـمـــانٍ بـــلا رَأْسِ[١]

وكنا نحســب الحكــم الذاتي في حمــى صهيون ـ الــذي أنكرناه وعارضناه ـ يمهّد لدولة فيما بقي من فلســطين، فــإذا الجمل يتمخض لا عن فأر، بل عن صرصور يســمى «الســلطة الفلســطينية». فأين حق الفلسطينيين في إقامتهم دولتهم المستقلة على تراب وطنهم الحر؟

إنَّه الوهن:

إنَّه «الوهن النفســي» الذي حــذّر منه النبي ﷺ، الأمــة في فترات «الغثائية» من تاريخها، حين قال: «**ولينزعنّ الله من قلوب عدوكم المهابة منكم، وليقذفنّ في قلوبكم الوهْن**». قيل: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: «**حبُّ الدنيا وكراهية الموت**»[٢].

وهو الذي حذّر منــه القرآن بقوله: ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٥]، ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ [النساء: ١٠٤]. فالمتاعب مشــتركة، والمعاناة لنا ولهم. ولكن فرق بين من يعاني في سبيل الله والحق والعدل، ومن يعاني في سبيل الطاغوت والباطل والظلم!

إنّنا لا نزايد على الفلســطينيين، لســنا ملكيين أكثر من الملك كما يقال، ولكن هناك حقائق يجب أن تُعرف وتُذكَر وتؤكَّد، وهي:

١ ـ أن الفلســطينيين لم يؤخذ رأيهم في هذا الأمر الجلل الذي غيّر

(١) انظر: القصيدة بكاملها في ديواننا: المسلمون قادمون صـ٩٣ ـ ٩٧.
(٢) سبق تخريجه صـ٢٨.

QaradawiBooks.com

ثوابتهم، ونقض تاريخهم، فلم تعقد لذلك مؤتمرات، ولا دعي المجلس الوطني الفلسطيني «السلطة العليا للفلسطينيين».

٢ ـ أنّ فصائل عديدة وكبيرة إسلامية ووطنية من الفلسطينيين رافضة لهذا الحل، بل الانقلاب المفاجئ، وتراه استسلامًا لا سلامًا، وتنازلًا عن حقوق ضخمة في غير مقابل.

وشخصيات كبيرة رفضت التوقيع على هذا الهوان، منهم أعضاء في اللجنة التنفيذية، مثل فاروق قدومي الذي قال: لا أوقّع على شهادة وفاة قضية فلسطين! ومنهم أعضاء استقالوا مثل عبد الله الحوراني الذي قال بالحرف الواحد:

«إنِّـي أرى هذا الاتفاق تنـازلًا عن حقوقنا الوطنيـة والتاريخية، وقرارات مجالسـنا الوطنية: في العودة وتقرير المصير، وإقامة الدولة الفلسطينية المسـتقلة، وتثبيتًا للاسـتيطان، وتجاوزًا لحقوق الإنسان الفلسـطيني، واتفاقية جنيف الرابعة، وإسـقاطًا لحقنـا نحن الأربعة الملايين لاجئ فلسـطيني في العـودة إلى وطننا، وفـق قرار الأمم المتحـدة رقم (١٩٤) لعـام (١٩٤٩م) لأنَّـه يتجاهل ذلـك تمامًا. إلخ ما قال»، وما أبلغ وأصدق ما قال.

٣ ـ أنّ فلسطين ليست ملك الفلسـطينيين وحدهم، والقدس ليست قدسـهم وحدهم، والأقصى ليس أقصاهم وحدهم، إنَّها ملك المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وليست ملك هذا الجيل وحده، بل ملك الأجيال الإسلامية إلى أن تقوم الساعة. فإذا وهن الفلسطينيون أو طائفة منهم لِما أصابهم من لأواء وضعفوا واسـتكانوا، فواجب المسلمين في كل مكان أن يهبوا لإنقاذ القدس، فريضة مـن الله. والذي أنقذ الله على

QaradawiBooks.com

يديه القدس قديمًا، لم يكن فلسطينيًّا ولا عربيًّا، بل كان بطلا إسلاميًّا كردي الأصل، عرَّبه الإسلام.

٤ ـ أنّ المعركة بيننا وبين بني صهيون مستمرة، نقاتلهم ويقاتلوننا، حتى تأتي المعركة الفاصلة التي نبّأنا بها من لا ينطق عن الهوى، وهي التي يكون كل شيء فيها معنا ضد يهود، حتى الشجر والحجر، روى البخاري ومسلم عن ابن عمر أنّ النبي ﷺ قال: «**تقاتلكم اليهودُ، فتُسلَّطون عليهم، حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر، فيقول الحجر: يا عبد الله، هذا يهودي ورائي فاقتله**»!![1].

وروى مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهودَ، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهوديُّ من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي، فتعالَ فاقتلْه، إلا الغَرْقَد، فإنَّه من شجر اليهود**»[2].

٥ ـ أنّ الرباط مستمر، والجهاد ماضٍ، في أرض النبوات، ومسرى الرسول الكريم، حتى يأذن الله وحده بالنصر، وينجزه وعده.

روى الإمام أحمد في «المسند»، والطبراني بسند رجاله ثقات عن أبي أمامة أنّ رسول الله ﷺ قال: «**لا تزال طائفة من أمتي على الدِّين ظاهرين، لعدوِّهم قاهرين، لا يضرُّهم مَن جابَهَهم ـ إلا ما أصابهم من لأواء (أي من أذى)، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**». قيل: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: «**ببيت المقدس، وأكناف بيت المَقْدِس**»[3].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٥٩٣)، ومسلم في الفتن (٢٩٢١).

(٢) رواه مسلم في الفتن (٢٩٢٢) (٨٢)، وأصل الحديث متفق عليه، وقد سبق تخريجه صـ ١٦.

(٣) سبق تخريجه صـ١٦.

QaradawiBooks.com

لماذا سارعت إسرائيل إلى الاتفاق؟

إنّ إسـرائيل قد سـارعت بإقامة هذا الاتفاق لتحقيق أمور ثلاثة تهمها:

الأول: ضرب الصحوة الإسلامية في فلسطين وفي العالم العربي، بل في العالم الإسلامي، وقد كشفوا عن ذلك في كلماتهم حين تحدّثوا عن قلقهم من تنامي خطر الأصولية الإسـلامية[1]، وقد قال بيريز في زيارته للهند: إننا نضع أيدينا في أيديكم للوقوف في وجه الأصولية الإسلامية المتشدّدة، أي في قضية كشمير وجامو.

وقد نقلت وكالة رويتر بُعَيد الاتفاق: حديثًا لمسـؤول إسرائيلي قال فيه: إننا لو تباطأنا عن هذا الاتفاق فقد نفاجأ بعد ثلاث سنوات أو أربع بقوة إسـلامية تملك صواريخ بعيدة المـدى، وربما تملك القنبلة النووية.

وإسرائيل تريد أن تكون هي القوة الوحيدة في الشرق الأوسط التي تملك الصواريخ، وتحتفظ وحدها بترسانتها النووية.

الثاني: الاختراق الإسرائيلي للعالم العربي، ثم العالم الإسلامي كله، ليصبح سـوقًا مفتوحة لبضائعها، ومصنوعاتها، ولغـزو خبرائها، وغزو نسائها أيضًا. فإسـرائيل ـ كما قال بيريز ـ تبحث عن الثروة والقوة، فإذا ألغيت المقاطعة، وكسـر الحاجز النفسـي، فتح الطريق أمام إسـرائيل، لتكسب على كل صعيد.

---

(١) انظر: سـلام الأوهام لهيكل صـ ٢٢١ وما بعدها، فصل: صيحة الخطر الإسـلامي، نشر دار الشروق، القاهرة، ط ٧، ٢٠٠١م.

QaradawiBooks.com

الثالث: الأمل في أن يتصارع الفلسطينيون فيما بينهم ما بين مؤيدين للاتفاق منتفعين من ورائه، ومعارضين له، رافضين له شكلًا ومضمونًا، وأن يتحاوروا بينهم بلغة السلاح، لا بالألسنة والأقلام. وبذلك يصفي بعضهم بعضًا، وإسرائيل تتفرج مشرقة الأسارير!

الصحوة الإسلامية لن تموت:

ونودّ أن نقول لإسرائيل: إنّ الصحوة الإسلامية لن تموت بإذن الله، وإنَّ الأصولية ستزداد قوة وإصرارًا، كلما هاجمتها القوى المعادية للسلام.

وعلينا أن نوعِّي قومنا بما يدبر لهم، حتى يقفوا كما وقف الشعب المصري من قبل ضد التطبيع، وعلينا كذلك: أن نناشد إخوتنا الفلسطينيين أن يتقوا الله في أنفسهم، وأن يحذروا من أي قطرة دم تراق على أيدي فئة منهم، وألا يكونوا سياط عذاب في يد إسرائيل ـ تجلد بها ظهر الانتفاضة المؤمنة ـ ما دام المسجد الأقصى أسيرًا، والملايين مشردين.

دعوة لعلماء المسلمين:

ثم أنِّي أدعو الأحرار من علماء المسلمين، ودعاة الإسلام، ومفكريه: أن يسارعوا بالاجتماع، ويتنادوا لإنقاذ الأقصى، وليقولوا كلمتهم فيما يجري من أحداث، وقد قالوها من قبل منفردين، فليقولوها اليوم مجتمعين.

* * *

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

توصيات

نحن المسلمين دعاة سلام، ولسنا هواة حرب، ولكنا نخوض الحرب مستميتين للدفاع عن أنفسنا وكياننا ومقدساتنا، لأنّ حربنا عندئذ في سبيل الله، وهذا شأن أهل الإيمان أبدًا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٧٦].

وإذا انتهي اللقاء بيننا وبين خصومنا بغير معركة كما في غزوة الخندق كان تعليق القرآن: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ [الأحزاب: ٢٥]، وقرآننا يقول بعد ضرورة الالتجاء إلى القتال: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١].

ولكن إسرائيل لم تجنح للسلم يومًا، لأن هذا ضدّ طبيعتها وتكوينها، وكيف يجنح للسلم من قام كيانه على الدم والعنف والاغتصاب والعدوان؟ وهي تعمل اليوم جاهدة لتفريغ القدس من أهلها مسلمين ومسيحيين، لتملأها بالمستوطنين القادمين من الغرب والشرق.

ومن هنا كانت مسالمة المعتدين مرفوضة دينًا وخلقًا وقانونًا وعرفًا، فلا يفل الحديد إلا الحديد، وما اغتصب بالقوة لا يرد إلا بالقوة، وفي ضوء ذلك نوصي بما يلي:

نسخة مجانية

١ ـ يجب أن تعود «ثورة المساجد» التي سميت بعد ذلك «الانتفاضة»، والتي أجبرت إسرائيل على الاعتراف بمنظمة التحرير، وساقتها إلى الجلوس معها للتفاوض، وأن تعود بأقوى مما كانت، مسنودة من جميع الفلسطينيين، سلطة وشعبًا، ومؤيدة من جميع العرب، وجميع المسلمين، وجميع الأحرار والشرفاء في العالم.

إنّ «إسرائيل» هي الإرهابي الأكبر في العالم. إنَّه إرهاب الدولة، أو دولة الإرهاب. إنَّها الدولة التي قنّنت الظلم والتعذيب، وهدم البيوت، وانتهاك حقوق الأفراد والأسر.

والسبيل الوحيد للشعب الفلسطيني هو «المقاومة». ومن حق كل شعب أن يقاوم المحتل الغاصب، بكل ما يستطيع من قوة. وإذا كان «مناحم بيجين» قد رفع شعار: أنا أحارب إذن أنا موجود!! فإن الشيخ أحمد ياسين رفع شعارًا مضادًّا: أنا أقاوم، إذن أنا موجود!! وسيغلب حقّ «أحمد ياسين» باطل «مناحم بيجين».

٢ ـ يجب رفض ما سمي «التطبيع» مع إسرائيل، على كل صعيد، سياسيًّا، أو اقتصاديًّا، أو اجتماعيًّا، أو ثقافيًّا، فلا يجوز التبادل الدبلوماسي مع إسرائيل، ولا التعامل الاقتصادي مع إسرائيل، ولا فتح مكاتب لإسرائيل، ولا يحلّ لمسلم السفر إلى إسرائيل، ولو بدعوى الصلاة في «المسجد الأقصى»، فإنّما يشدّ المسلم رحاله إلى هذا المسجد حينما يتحرر من سلطان اليهود.

يجب أن نرفض اختراق العقل العربي والإسلامي بأي صورة، وأن نقاوم غزو «الإسرائيليات الجديدة» لثقافتنا الإسلامية والعربية، وأن نتمسك بهويتنا خالصة لا تشوبها شائبة.

QaradawiBooks.com

٣ ـ يجب إعادة «المقاطعة» الاقتصادية لإسرائيل، واستمرارها حية فعّالة، وتوسيعها لتكون مقاطعة عربية إسلامية، فلا يحل لمسلم أن يبيع لها أو يشتري منها، وهذا واجب الدول الإسلامية، وواجب الأفراد المسلمين، ويجب على كل مسلم أن يعلم أن أي دينار أو درهم أو جنيه أو ريال، يذهب إلى إسرائيل يتحول إلى صاروخ أو قنبلة أو رصاصة تقتلنا بها أو تهددنا بها إسرائيل، بل يجب أن تتسع هذه المقاطعة لتشمل كل من يساند إسرائيل، وخصوصًا أمريكا التي تقف بكل قوتها مع إسرائيل، ويجب على المسلمين كافة: مقاطعة البضائع الأمريكية، ابتداء بالطائرات ومرورًا بالسيارات، وانتهاء بالهامبرجر والبيتزا والكولا والسجائر ونحوها.

٤ ـ يجب أن يعلو العرب والمسلمون على خلافاتهم، وينسوا معاركهم الجانبية، ويقفوا صفا واحدًا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا، فالمعركة كبيرة، لا يجوز أن تشغلنا عنها النزاعات الصغيرة، وقد قال الشاعر[1]:

إن المصائب يجمعن المصابينا

فكيف بأم المصائب: إسرائيل وغطرستها واستكبارها في الأرض؟!

وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

يجب أن نقاوم كل محاولة لتمزيق الأمة أكثر مما هي ممزّقة، وأن نسعى إلى توحيد الكلمة في ضوء كلمة التوحيد، فإن لم نستطع الارتقاء إلى أفق التوحيد، فلنسع إلى التقريب، وذلك أضعف الإيمان.

(١) عجز بيت لشوقي، وصدره:

فإن يكُ الجنسُ يا ابنَ الطَّلْحِ فرَّقنا

انظر: الشوقيات صـ ٦٤٧، تعليق يحيي شامي، دار الفكر العربي بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

لا مجال لإثارة الخلافات الدينية: سنة وشيعة، ولا الخلافات العرقية: عرب وأكراد، أو عرب وبربر، ولا الخلافات الأيديولوجية: يمين ويسار، ولا الخلافات الطبقية: أغنياء وفقراء.

ويجب أن نركّز على مقاومة الخلاف بين الفصائل الفلسطينية بعضها وبعض، فالجميع في خندق واحد، هو مواجهة الاحتلال والعدوان الصهيوني.

وما أروع ما قال الشيخ أحمد ياسين في قطر: إذا قاتلتنا السلطة الفلسطينية فلن نقاتلها، وإذا آذتنا، فلن نرد السيئة بمثلها، سنكون كخير ابني آدم حين قال له أخوه: لأقتلنك، قال: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٨].

٥ ـ يجب أن نعلن بوضوح «إسلامية المعركة» فالقدس ليست مجرد شأن فلسطيني، بل ولا مجرد شأن عربي، بل هي شأن إسلامي. ولهذا نرفض ما يردد أحيانًا من أن الفلسطينيين هم أصحاب الشأن، ولا ينبغي أن نكون ملكيين أكثر من الملك، فالقدس شأن الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، ولو أن الفلسطينيين تخاذلوا وسلَّموا في شأنها، لوجب على مسلمي العالم أن يرفضوا ذلك، ويقاموا الفلسطينيين أنفسهم، وكما لا يجوز أن يقال: إن مكة والكعبة والمسجد الحرام هي شأن سعودي، لا يخص سائر المسلمين، فكذلك يقال عن القدس الشريف والمسجد الأقصى.

٦ ـ يجب أن نسعى لتأسيس «هيئة إسلامية شعبية عالمية» من أجل إنقاذ القدس، فلو كان لنا خليفة مبايع من المسلمين، يجسد وحدتهم، ويقود أمتهم ـ كما كان عليه حال الأمة أكثر من ثلاثة عشر قرنًا ـ لنادى

QaradawiBooks.com

في المسلمين: أن هبوا لتحرير الأقصى، ولاستجاب الملايين لندائه، وأقبلوا بكثافة ليواجهوا قوّة إسرائيل، وأسلحة إسرائيل، ولتقتل منهم ألوفا أو عشرات الألوف، ولكنها لن تستطيع أن تقتل كل المجاهدين، وتواجه كل المسلمين.

فإذا لم تكن لدينا خلافة تملك حق التوجيه والأمر، فليكن بديلنا عن ذلك «مؤتمر عالمي لعلماء المسلمين» يدعى إليه، بعيدًا عن تأثير السياسات المحلية، والتوجيهات الرسمية، ليقول كلمته، ويوجه بيانه إلى الأمة، وينشئ هذه الهيئة العالمية المنشودة «هيئة إنقاذ الأقصى».

٧ ـ وعلى هذه الهيئة أن تنشئ «صندوق القدس» صندوقًا شعبيًّا إسلاميًّا عالميًّا، يساهم كل المسلمين ـ بل كل الأحرار الشرفاء ـ من أقصى الأرض وأدناها، بما يقدرون عليه، والقليل على القليل كثير، وذلك لإنقاذ القدس والمسجد الأقصى، ومواجهة خطط إسرائيل الجهنمية في إقامة المستوطنات، والترحيل الصامت لأهل القدس، والحفر المتواصل تحت المسجد المبارك، والتدمير المرتقب للمسجد الأقصى.

نتوجه بهذه التوصيات إلى كل الفلسطينيين: سلطة ومعارضة وإلى كل العرب: مسلمين ومسيحيين، وإلى كل المسلمين: عربًا وعجمًا، وإلى كل الشرفاء والمنصفين، وأعداء البغي في الشرق والغرب، ليساندونا في معركتنا العادلة، وليقفوا مع قوة الحق، لا مع حق القوة.

وإنّ الحق لَمنصورٌ ولو بعد حين. وقد قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

* * *

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

الفهارس العامة

- فهــرس الآيات القرآنيــة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشــريفة.
- فهرس الموضوعات.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

غير مرخصة للطباعة

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة		
﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾	٥٣	٥٣
﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾	٧٤	٧٣، ٩١
﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾	٨٠	٧٤
﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾	٨٧	٨٩
﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾	٨٩ ـ ٩١	٤٠
﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾	٩٦	٧٣
﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾	١٢٤	٦٤
﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾	١٤٢	١٠
﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾	١٤٣	٤، ١٠
﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾	١٥٠	١٠
﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾	٢٤٩	٨١
﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾	٢٥١	٤، ٣٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة آل عمران		
﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾	٦٨	٦٤
﴿ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴾	٧٥	٧٤، ٩٥
﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾	١١٠	٨٩
﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾	١١٢	٧٤، ٨٩
﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾	١٤٠	٢٠، ٣٢
﴿ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ﴾	١٤٦، ١٤٧	٢٤
﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾	١٨١	٧٤
سورة النساء		
﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾	٤٩	١٠٠
﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴾	٥٣	٩٩
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ ﴾	٧٦	٤٢، ١٣٥
﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ ﴾	١٠٤	١٣٠
سورة المائدة		
﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ﴾	١٣	٧٣، ٩١، ١١٢
﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾	١٨	٧٤
﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾	٢١	٨٢
﴿ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا ﴾	٢٤	٨٢
﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ﴾	٢٨	١٣٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ ﴾	٧٨، ٧٩	٨٩
﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ ﴾	٨٢	٤٠
سورة الأعراف		
﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾	١٣٧	١٤
﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي ﴾	١٤٤، ١٤٥	٣٧
﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾	١٦٧	٤، ٥٥
﴿ وَقَطَّعۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُمَمٗا ﴾	١٦٨	٥٤
﴿ وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ ﴾	١٧١	٧٥
سورة الأنفال		
﴿يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ ﴾	٤١	٢٠
﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ﴾	٥٦	٢٣، ٧٣، ٩٦
﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ ﴾	٦٠	٩٧
﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ ﴾	٦١	١٣٥
سورة التوبة		
﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ﴾	١٠٥	٨
﴿ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ ﴾	١١٤	٦٤
سورة إبراهيم		
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ ﴾	١٣، ١٤	٧٠
سورة الإسراء		
﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا ﴾	١	٤، ١١، ١٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾	٤	٤، ٥٢، ٥٣
﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾	٥	٤، ٥٢
﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾	٦	٤، ٥٢، ٥٤
﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ﴾	٧	٤، ٥٢، ٥٤
﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾	٨	٤، ٥٢، ٥٥
سورة طه		
﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ﴾	٩٠، ٩١	٦٧
سورة الأنبياء		
﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾	٧١	١٤
﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾	٨١	١٤
﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾	١٠٥	٧٠
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾	١٠٧	١١
سورة الحج		
﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ﴾	٤٠	٣٠
﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾	٧٨	٣٦
سورة الفرقان		
﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾	١	١١
﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾	١٧	٥٣
سورة الشعراء		
﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾	٢٢٧	٧٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النمل		
﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ﴾	٣٤	١٠٢
سورة الروم		
﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	٤٧	٨٢، ١٣٩
سورة الأحزاب		
﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾	٢٥	١٣٥
سورة سبأ		
﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً﴾	١٨	١٤
سورة الزمر		
﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾	٥٣	٥٣
سورة محمد		
﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾	٣٥	٣٤، ١٢٣، ١٣٠
سورة الحجرات		
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾	١٣	٣٦، ٧٠
سورة الرحمن		
﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾	١٠	٤٧
سورة الحشر		
﴿لَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ۚ﴾	١٤	٧٣
سورة الممتحنة		
﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾	٤	٦٤

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الصف		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾	٤	١٣٧
سورة التين		
﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۞ وَطُورِ سِينِينَ ۞ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾	١ ـ ٣	١٥

❊ ❊ ❊

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

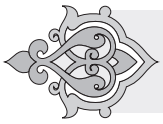

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
إن ممَّا أدركَ الناسُ من كلام النبوَّة الأولى: إذا لم تستحِ، فاصنعْ ما شئتَ!	١٩
أيّها الناس، إنّ ربَّكم واحد، وإنّ أباكم واحد، كلُّكم لآدمَ، وآدمُ من تراب	٣٦
ب	
ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس	١٦
ت	
تقاتلكم اليهودُ، فتُسلَّطون عليهم، حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر	١٣٢
تُقاتلون اليهود، حتى يختبئَ أحدُهم وراء الحجر، فيقول: يا عبد الله	٥
ص	
صلاةٌ في المسجد الحرام أفضلُ مما سواه من المساجد بمائة ألف صلاة	١٣
ل	
لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين	٥، ١٣٢
لا تُشَدُّ الرّحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام	٥، ١٢
لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم...	١٦
لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهودَ، فيقتلهم المسلمون	٥، ١٦، ١٣٢

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
م	
المسجد الحرام قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى قلتُ: كم بينَهما؟	٥
المسجد الحرام، قيل ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى	١٣
من بطَّأ به عملُه، لم يُسْرِع به نسبه	٦٤
ن	
نحن أولى بموسى منكم	١٣
ي	
يوشك أن تتداعى عليكم الأممُ من كل أُفُق	٢٨، ١٣٠

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

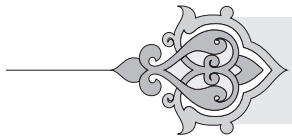

فهرس الموضوعات

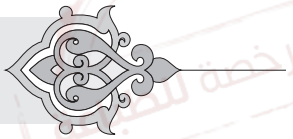

❖ **من الدستور الإلهي للبشرية** **٤**

❖ **من مشكاة النبوة الخاتمة** **٥**

• **مقدمة** **٧**

❖ **القدس في اعتقاد المسلمين** **٩**

القدس: القبلة الأولى ١٠

القدس أرض الإسراء والمعراج ١١

القدس ثالث المدن المعظمة ١٢

القدس أرض النبوات والبركات ١٤

أرض الرباط والجهاد ١٥

❖ **القدس تُهَوَّد جهارًا** **١٧**

الاستسلام الفلسطيني ٢١

العجز العربي ٢٥

الوهن الإسلامي ٢٧

التفرد الأمريكي ٢٩

الغياب العالمي ٣٢

QaradawiBooks.com

❖ **حقيقة المعركة بيننا وبين إسرائيل ٣٥**
هل نعادي إسرائيل لأنَّها سامية؟ ٣٥
هل نعادي إسرائيل لأنَّها يهودية؟ ٣٦
اليهود أقرب إلى ملة إبراهيم من النصارى ٣٧
سوء موقف اليهود من دعوة الإسلام ٣٩
السبب الحقيقي لمعركتنا مع اليهود ٤١
الطابع الديني للمعركة ٤٢
❖ **بطلان دعاوى اليهود في القدس وفي فلسطين عامة ٤٣**
لا حق لليهود في القدس ولا في فلسطين ٤٣
مناقشة عامة ٤٣
دعوى الحق التاريخي ٤٥
مناقشة هادئة ٤٩
يقول مؤلف «تاريخ اليهود» ٤٩
حديث القرآن عن إفساد بني إسرائيل وعقوبتهم ٥٢
آيات سورة الإسراء ورأي بعض علماء العصر ٥٢
الفتح الإسلامي ٥٥
محاولات الصهيونية الحديثة الضغط على الدولة العثمانية ٥٦
دعوى الحق الديني ٦١
وقفة متأنية لمناقشة الدعوى اليهودية ٦٣
من هم نسل إبراهيم؟ ٦٣
أليس إسماعيل من نسل إبراهيم؟! ٦٤
أين عدل الله؟! ٦٥
وعد مشروط لم يف اليهود بشرطه ٦٦
اليهود نقضوا عهد الرب ٦٦

QaradawiBooks.com

أولًا: يوجه يسوع المسيح للإسرائيليين هذا الخطاب ٦٨
ثانيًا: يوحنا المعمدان هكذا يخاطب بني إسرائيل ٦٩
ثالثًا: يسوع نفسه يقول لبني إسرائيل ٦٩
منطق القرآن: الأرض يرثها الصالحون ٧٠

❖ **هل عرفنا عدونا؟** **٧١**
مصادر أساسية لمعرفة عدونا ٧٢
القرآن الكريم ٧٢
المصدر الثاني: كتبهم المقدسة عندهم ٧٥
اقرأ مثل هذه النصوص ٧٦
المصدر الثالث: التاريخ ٧٦
كتابات المعاصرين عنهم ٧٧
الواقع المعيش لليهود ٧٨
كتابات اليهود عن أنفسهم ٨٢

❖ **هذا هو عدونا** **٨٨**
١ ـ العنصرية ٨٨
٢ ـ العنف والعدوانية ٩١
٣ ـ التوسعية ٩٣
٤ ـ اللاأخلاقية ٩٥
٥ ـ الشح وعبادة المال ٩٩
الصهيونية أعلى مراحل الاستعمار ١٠١
١ ـ استعمار إحلالي ١٠٢
٢ ـ استعمار توسعي ١٠٣
٣ ـ استعمار عنصري ١٠٣

QaradawiBooks.com

٤ ـ استعمار ظالم ١٠٤
٥ ـ استعمار إرهابي ١٠٥

❖ **الصهيونية خطر على العالم كله ١٠٧**
ماذا تقول اليهودية في المسيحية؟ ١٠٧
وماذا تقول المسيحية في اليهودية؟ ١١٠
الرئيس فرانكلين يحذر من اليهود ١١٤

❖ **أمريكا وإسرائيل ١١٧**

❖ **﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾ ١٢٣**
إسرائيل المزعومة! ١٢٤
فصل جديد في المأساة ١٢٥
إشفاق على أبنائنا ١٢٦
حفل التوقيع البائس ١٢٧
الفرق بين رجلين وكلمتين ١٢٨
سلام السراب أو سراب السلام ١٢٩
إنَّه الوهن ١٣٠
لماذا سارعت إسرائيل إلى الاتفاق؟ ١٣٣
الصحوة الإسلامية لن تموت ١٣٤
دعوة لعلماء المسلمين ١٣٤

❖ **توصيات ١٣٥**

❖ **فهرس الآيات القرآنية الكريمة ١٤٣**

❖ **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ١٤٩**

❖ **فهرس الموضوعات ١٥١**

* * *

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com